شحاتة هارون

يهودى فى القاهرة

يهــودى فى القـــاهرة

موقف مبــدئى

١

يهـــــودى
فى القــــــــاهرة

الطبعـــــة الأولى ١٩٨٧

توزيع
دار الثقافة الحديثة
٣٢ ش صبرى ابو علم (القاهرة) ت : ٧٤٢٨٨٠

الغلاف للفنـــان : عبد المنعم القصـــاص

شحاته هارون

يهودي في القاهرة

الى من وهبـــانى الحيـــاة

أبـــى وامـــى

الى من أرشدنى الى مفاتيحهـــا

هنرى كوربيـــل

الى الصـــبورة الشـــجاعة

زوجتى مارســـيل

المفـــــــاتيح

« فى مكان الصدارة بين جميع القضايا السياسية المطروحة فى الوقت الحاضر تأتى القضيتان : قضية الخبز وقضية السلام »

لينين

« صراع الطبقات هو محرك التاريخ »

كارل ماركس

ان معيار الشيوعى الحقيقى ثقته فى الاتحاد السوفيتى ... (أول دولة للكادحين فى تاريخ الانســـــانية) .

جورج ديميتروف

« السياسة هى ذلك النشاط الذى يستند الى المعرفة العلمية للبنيان الاجتماعى والقوى المتفاعلة فيه وعلى اساس من هذه المعرفة يعمل على تغير المجتمـع (والعـــالم) وتغيير حال

العـــلاقات بين البشر . والسيـاسة ، بهذا المعنى ، هى أرقى اشكال النشاط الانسانى اذ به نتعرف على عالمنا من أجل تغييره » .

بالميرو تولياتى

« الحياة هى أغلى ما يملكه الانسان ، لا تعطى له سـوى مرة واحدة ، ومن ثم عليـه ان يحياها بحيث لا ينـــدم آسـفا على السـنوات التى يكون قد عاشـــها هبـــاءا وهدرا وبحيث لا يخجل من ماضيه الخسيس ويستطيع ان يقول اذا اتتـــه المنية ، وحل كتابه : كرست حيـــاتى وقواى من أجل واسمى عمل : من اجل النضال فى سبيل تحرير الانسان » .

نيكولاى أوستروفسكى

نص رسالة وجهتها الى جمال عبد الناصر عقب خطـــابه بمناسبة عيـــد الوحـــدة فى ٢٨ فـــبراير ١٩٦٧

.... وكانت النتيجـــة ان اعتقلت فى ٥ يونيـــو ١٩٦٧ مع غيرى من اليهود المصريين

مذكــــرة
حول أحد مظاهر وحدة القوى الثورية

فى اطار الصيغة الجديدة المطروحة اليوم على منطقتنا للمعركة الدائرة بين الاستعمار والرجعية والعنصرية الاسرائيلية من جهـة وبين القوى الثورية من الجهة المقابلة فما من شك أن للتقدميين من اليهود دورهم الايجابى ومكانهم بين صفوف القوى الثورية .

وعن ادراك واع بالوضع الراهن أرى أنه لابد من أن يضموا صراحة الى باقى القوى الثورية لمساعدتهم على تعبئة الجماهير اليهودية فى معركةا لتحرير والديموقراطية والاشتراكية .

وعن ذات الادراك أرى أن رفض القيادة الثورية لهذا الواقع او تجاهلها له أو عدم اعترافها به انما يشكل ثغرة ذات خطـورة على الجبهة .

فمنذ ١٩٤٨ والحكومات العربية تسلك نحو مواطنيها من اليهود

أو المستوطنين أو المقيمين بها سلوكا أدى الى مد دولة اسرائيل بـ ٦٠ أو ٦٥٪ من عتادها البشرى ؟ ؟ ؟ .

ولم يتغير هذا السلوك مع التحولات الجذرية ، الثورية التى حدثت فى بعض البلدان العربية ، مما أسبغ على حكوماتها التقدمية شبهة أو ظلال من العنصرية تتناقض تناقضا صارخا مع اعتناقها للمبادىء الاشتراكية بل وللاشتراكية العلمية .

وحقا فان لم يكن هناك من مبرر منذ البداية لهذا السلوك فاليوم مع الاشتراكية أضحى تبريره صعبا بل مستحيلا .

وكيف أستطيع وانا المولع بثورتنا وانا المقدر عن وعى صادق وعميق للدور التاريخى والخلاق الذى يلعبه جمال عبد الناصر والقيادة الثورية ، كيف يمكننى أن أواجه أو أقنع من حولى من اليهود وغيرهم — على اختلاف مداركهم ومع تباين درجات وعيهم — بما أومن به : السياسية الانسانية ، والبناءة للجمهورية العربية المتحدة

كيف يمكننى ان اعلل (سياسيا) :

— انى (وغيرى من اليهود) محروم من واجب الخدمة العسكرية .

— انى (وغيرى من اليهود) لا أستطيع مغادرة البلاد الا نهائيا بعد التنازل عن الجنسية المصرية ؟ أو عن الاقامة بمصر .

— انى (وغيرى من اليهود) محروم من حق العمل فى المؤسسات العامة .

كيف أعلل (سياسيا) :

ـ كلمة « يهودى » المضافة الى جانب بيـــــان الجنسية فى بطاقات العمل التى تصرف للاجانب من اليهود .

ـ عبارة (متزوجة من يهودى) الى جانب جنسية الزوجة غير اليهودية لتنسحب اليها التدابير المتخذة ضد زوجها اليهودى .

كيف أعلل ان يتضمن القانون نصا صريحا على اعتبـــــار « اليهود » فى القائمة السوداء (تراجع المادة ٧ فقرة ثامنا من قرار وزير الداخلية رقم ١٨٣ لسنة ١٩٦٤ المنشـــور بالوقائع المصرية عدد ٩٤ الصادر فى ١٩٦٤/١١/٢٦) ... الى غير ذلك من من الامثلة مما أعلمه ولا أعلمه ..

ســـيدى الرئيس

انكم لتدركون مدى حرجى السياسى ـ الى جانب الملى النفسى ـ من هذه التدابير التى تعد من رواسب ماض بغيض أعلنتم عن حتمية محوه وتعملون من أجله .

وقد حرصتم عند استقبالكم لوالتر اولبريخت ـ رئيس جمهورية المانيا الديموقراطية ـ على توضيح الآتى :

« والجمهورية العربية المتحدة على لسان وفودها الحكومية وغير الحكومية طالما أعلنت وتعلن وطالما اكدت وتؤكد فى المؤتمرات الاقليمية والدولية أنها تكافح التمييز العنصرى بشتى صوره » .

كيف يمكن التوفيق بين ما يعلن ويقال وما يجرى فعلا وعملا مثل تلك التدابير الخفية وغير الخفية التى تحز فى النفس وتغضب وتؤلم وتذل .

ســـيدى الرئيس

أن حكومة اسرائيل تعامل العرب وحتى اليهود منهم معـــاملة عنصرية ولكنها حكومة ديكتـــاتورية عســـكرية ، عنصرية تعلن ، بمنطقها ، تأييدها للاضـطهاد العنصرى فى أفريقيا الجنوبية وللوحشية الامريكية فى فيتنام ....

ولن ينهض اضطهادها للعرب تبريرا لتلك التدابير التى ماتزال تشوه جلال اشتراكيتنا .

ســـيدى الرئيس

لقد أقدمت على كتابة هذه المذكرة ومضمونها يخالجنى منذ أمد بعيـــد .

ولقد أحسست أخيرا ومنذ خطابكم (الهايل) فى عيد الوحدة أن الظروف قد نضجت لكى يعلن بالطريقة التى ترونها وفى الوقت الذى تختارونه ــ وانتم خير مؤقت : ان وحدة القوى الثورية لا تحتمل اى استثناء أو أى أقصاء لجزء من تلك القوى الثورية يكون مرده الى الى اختلاف فى الاصل أو الدين .

عير أن الذى لا يحتمل أى تأخير فهو أن تلغى فورا تلك التدابير والتعليمات المعلنة وغير المعلنة التى يعامل اليهود على مقتضاها تلك المعاملة الشاذة البغيضة .

وانى اطالبكم وأنتم القائد الثورى ، الواعى أن تناضلوا أيضا من أجل اقناع الحكومات العربية التقدمية أن تنحو هذا النحو ففى هذا كسب لقضية الحرية والديموقراطية والاشتراكية وفى هذا كسب

لجماهير واســعة على الصعيد الاقليمى والدولى وفى هذا كســب عن طريق حرمان الاستعمار والعنصرية الاسرائيلية من أهم دعائم دعايتهمـــا .

وبعـــد

فهذا رايى الذى أومن به . اعرضه على قيادتى السياسية مستعدا أن أدافع عنه أمامها معتبرا نفسى جنديا قبل عن اقتنــاع وعن وعى أن تكونوا له قائدا فلكم بل عليكم أن تضموه الى صفوفكم .

المواطن

شــــحاته هارون

مقـــال نشر فى مجلة ((الطليعة))
عـــدد ١٠ (أكتــــــوبر ١٩٧٤)

... ولعل احدى نتائجه أن قبض على فى ٢ ينـــاير ١٩٧٥ فى القضية رقم ١٩٧٥/١٠٠ حصر أمن دولة عليا.

الاطـــار العــــــام
للعـــــــلاقات الامريكيـــة الاسرائيلية

العلاقة بين أمريكا وبين اسرائيل **تحكمها مصـــالح اجتماعية وطبقية فى البلدين . وهذه المصالح تتحرك فى اطار اوســــع من الصراعات الدوليـــة : التناقضات بين معسكر الاشـــتراكية وبين معسكر الراسمالية ، والتناقضــــات بين بلدان البـــلاد الراسمالية نفسها ، والتناقضات بين بلدان الشرق الاوسط .. رئيسية كانت أو ثانوية .**

والمدخل الصحيح لفهم العلاقات الامريكية ــ الاسرائيلية ، هو تحديد **استراتيجية السياسة الخارجية الامريكيـــــة** . ويمكن تحديدها فى **نقطتين :**

تتعلق الاولى بهدف هذه السياسة الذى يمكن ايجـــازه فى : حماية احتكاراتها . فالسياسة الخارجية ، امتداد لسياسة كل دولة فى الداخل ، وانعكاس لصراعاتها الطبقية وموازينها داخل المجتمع . ولما كان المجتمع الامريكى يخضـــع لسيطرة الاحتكارات الكبرى ــ مع اختلاف مصالحها الاقتصادية المباشرة ــ فان هدف

السياسة الخارجية الامريكية يرمى بالتالى الى حماية هذه المصالح . وذلك يفسر لنا حقيقة أنه منذ الحرب العالمية الثانية ، **يختار وزير الخارجية الامريكي من بين السياسيين المرتبطين — بشكل او بآخر — بالمصالح الاحتكارية الاكثر نفوذا على المستوى الاقتصادى .** وفى المقام الاول بمجموعة **روكفلر** الذى عين عميدها اخيرا نائبا لرئيس الولايات المتحدة . وهنا تتضح أيضا دلالة أن من بين من يرشحهم كيسنجر لتولى منصب قيادى فى **وزارة الخارجية ، دافيد روكفلر** رئيس مجلس ادارة بنك شيزمنهاتان .

فى هذا الصدد ، كتب جيمس ريستون المعلق السياسى لجريدة « نيويورك تايمز » (سبتمبر ١٩٧٤) يقول أن **خمسة عشر** من بين **عشرين** من سفراء الولايات المتحدة فى اوروبا الغربية ، من رجال الاعمال عينهم نيكسون نظير ما قدموه له من خدمات .

وتتعلق الثانية بمصالح **الاحتكارات السائدة . فمصالح** مجموع الاحتكارات الامريكية ليست ، متوافقة فيما بينها ، فبحكم أنها مصالح مادية ، فهى متناقضة ، وبالتالى فان سيطرة بعض المصالح على الأخرى فى وقت ما ، قد يغير — فى هذا الوقت المحدد — من اتجاه السياسة الخارجية الامريكية .

ويمكن أن نميز فى الولايات المتحدة ، بين ثلاث مجموعات هامة ورئيسية من الاحتكارات فى الوقت الحاضر :

● مجموعة **احتكارات الصناعات الحربية** التى يعتمد انتاجها اساسا على تنفيذ ما تتعاقد عليه الحكومة من اسلحة سواء لنفسها أو لحساب توابعها من الدول (اسرائيل — فيتنام الجنوبية الخ) التى ترى مصلحة فى تزويدها بالسلاح .

● **مجموعة الاحتكارات التى تهتم اساسا بالبيع والاستثمار فى**

الخارج ، أو التى يتجه نشاطها نحو تصريف جزء كبير من انتاجها للخارج ، وهى بالتـــالى فى حاجة الى ضمانات ســـياسية مناسبة لحماية مصالحها (عوائد استثمارات ، أو صـــادرات) لدى الدول الاجنبيـــة .

● **مجموعة الاحتكارات صـــــاحبة الاستثمارات الكبرى فى الداخل** (الولايات المتحدة نفسها) وهى تميل أكثر ما تميـــــل الى الاستقرار الاقتصادى الداخلى أكثر مما تهتم بمشـــكلات السياسة الخارجيـــة .

ولقد سادت مصالح المجموعة الاولى خلال سنوات الحرب الباردة وحرب فيتنام ، وحققت أرباحا خيالية بالمقارنة التى غيرها من الاحتكارات الامريكية ، ومما ساعدها على ذلك ، المستوى العالى جدا لتركيزها وعلاقاتها الوثيقة جدا بوزارة الحربية الامريكيـــــة (البنتـــاجون) .

ومن ثم كان تاثيرها على السياسة الخارجية الأمريكية اعظم بكثير من وزنها فى الاقتصاد .

وجدير بالملاحظة أن مصالح المجموعات الثلاثة متشــــابكة **ومع هذا ومنذ أوائل السبعينات بدا نفوذ المجموعة الثانية بتعاظم .** وتوضح الاحصاءات الرسمية أنه من بين الالف الاولى من الشركات الامريكية ، فان ٢٠٠ منها قد حققت حجما كليا من الاعمال ويمثـــل ٥٠ فى المائة من نشاطها ، فى الاستمثارات الخارجية ، والحجم الكلى لارباح الشركات الامريكية من انتاجها الحربى وتصـــدير رؤوس أموالها **انما يمثل** ٥٠ فى المائة من أرباحها فى السنوات الاولى من السبعينات . **وتتشكل هذه الارباح الاساس المادى الرئيسى لتطبيق وممارسة السياسة الخارجية الامريكية . وقد بدى أخيرا ان بنيان**

هذه المصالح يتبدل فى غير مصلحة مجموعة احتكارات الصناعات الحربية وهذا عامل عام فى تشكيل استراتيجية السياسة الخارجية الامريكية خلال السبعينات .

الصراع الاجتماعى العالمى .. والسياسة الخارجية الامريكية

تتسم **خريطة السياسة** العالمية اليوم بالآتى :

● تعاظم مضطرد لقوة المجموعة الاشتراكية (بقيادة الاتحاد السوفيتى) سياسيا واقتصاديا وعسكريا .

● انتصارات لحركات التحرر الوطنى (فيتنام ثم ٦ اكتوبر الخ) .

● انتصارات للحركة العمالية العالمية فى الدول الراسمالية (كالتطويح بالانظمة العسكرية الفاشستية فى البرتغال واليونان والتصويت المتزايد الى جانب الجبهات الشعبية) .

ولقد أدى تضافر كل هذه القوى الى ارغام العناصر الواعية (بمصالحها) لدى بعض الاحتكارات الامريكية (أساسا المجموعة الثانية من المجموعات الثلاثة التى أشرنا اليا) الى أن **نأخذ هذه العوامل** فى الحسبان ونعيد تصورها للعالم وموازين القوى فيه ، تصورا أكثر واقعية وتعقلا . وقد تمت ترجمة هذا عمليا على النحو الآتى :

أولا — اعادة تقييم علاقات القوى بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة على الصعيدين العسكرى والسياسى والاقرار بالمساواة النووية بينهما ، الامر الذى سجلته اتفاقية موسكو بين البلدين عام ١٩٧٢

ثانيا — ادراك أن « المؤامرة الشيوعية » ليست سوى أسطورة خلقتها أجهزة المخابرات ثم صدقتها . وأن هناك تغييرات عميقة اجتماعية وسياسية لا رجعة فيها فى العالم وبوجه خاص فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

ثالثا — ادراك الواقع الموضوعى للصراع الحاد بين المصالح الاقتصادية الامريكية ككل من ناحية وبين اليابان والكتلة الاوربية الغربية من ناحية أخرى .

رابعا — ان سياسة المواجهة بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى قد أضعفت من مركز أمريكا وعلاقاتها بالدول الراسمالية الاخرى ومن قدراتها فى سباق المنافسة مع الاشتراكية .

ولا يعنى هذا أن السياسة الخارجية الامريكية قد تخلت عن عدائها الطبقى للاتحاد السوفيتى ولكن التطورات الجذرية فى موازين القوى دفع بعض الدوائر الاحتكارية الى العمل من اجل حماية مصالحها داخل المعسكر الراسمالى .

كما ان هذا لا يعنى ان السياسة الخارجية الامريكية قد قبلت التنازل طواعية عن مصالحها فى العالم الثالث (وبوجه خاص فى الشرق الاوسط) أو أنها سلمت ببقاء الانظمة التقدمية .

ان مصالح احتكارية معينة (المجموعة التى تغلب عليها صفة الاستثمارات خارج الولايات المتحدة أو التى تنتج للتصدير) أمام تغير موازين القوى فى العالم اخذت تمارس — حين تضطر — سياسة « الدبلوماسية الهادئة » بدلا من « سياسة البوارج الحربية » .

وهذا الاضطرار الذى **اجبرت عليه** لا يعنى أنها قد تخلت من

استخدام العنف بنفسها أو عن طريق الغير . ومثال هذا واضح للعيان من شاهدين :

فيتنام : حين اجبرت على جلاء قواتها عن فيتنام الجنوبية (٥٠٠،٠٠٠ جندى) نتيجة لبطولة الشعب الفيتنامى الاسطورية ولضغط الرأى العام العالمى . **ومع هذا** فلازالت تغدق على حكومة سايجون (فيتنام الجنوبية) بالسلاح والعتاد والخبراء العسكريين وخبراء المخابرات **ومنحتها فى ميزانية هذا العام مايربو على الفة** مليون دولار .

قبرص : التى كان يحكمها نظام يتمسك بسياسة عدم الانحياز ، ذات أهمية عسكرية كبرى نظرا لوضعها الجغرافى قرب شواطىء دول الشرق الاوسط ، فعمدت الى قلب نظام الحكم فيها واحتلالها **ـ بالواسطة** ـ بالجيش التركى ، **وتركيا كما نعلم عضو فى حلفين عسكريين امريكيين : الحلف الاطلنطى وحلف السنتو .**

السياسة الخارجية الامريكية
والشرق الاوسط

كتبت مجلة آسيا الامريكية فى ابريل ١٩٤٢ تقول :

« لم ينحدر نفوذ انجلترا لدى شعوب الشرق الاوسط خلال القرن الماضى بأسره مثلما انحدر اليوم . **ولم يعد فى وسع الولايات المتحدة ان تسلم بان تظل السيطرة على شئون الشرق الاوسط فى ايدى انجلترا .. فالشرق الاوسط القنطرة المؤدية الى اوربا ، ويجب علينا بالتالى أن تستولى عليه ولو مقابل ثمن مئات الآلاف من الارواح الامريكية** . ولحسن الحظ أننا لم نفقد بعد الشرق الاوسط علينا أن نسرع . **وعلى الولايات المتحدة ان تحوله الى قلعة بان تركز فيه قوات عسكرية هائلة وان تحافظ عليه بكافة الوسائل السياسية**

والاقتصادية التى تتوفر لديها — لابد ان نقتنص الفرصة السانحة الآن » .

لسنا فى حاجة الى المزيد بعد هذا الاستشهاد الواضح بنوايا الولايات المتحدة الامريكية تجاه الشرق الاوسط .

ولسنا فى حاجة الى اعادة تقييم ما قدمته الدوائر الحاكمة فى اسرائيل من خدمات جليلة للدوائر الاحتكارية الامريكية ، فقد وفرت عليها تضحية « مئات الالاف من الارواح الامريكية » .

بعد ١٩٤٢ ، وأمام الاكتشافات البترولية فى الجزيرة العربية ، وما حولها من بلاد ، وأمام مقتضيات الحرب الباردة واستراتيجية تطويق الاتحاد السوفيتى من الجنوب الشرقى ، أمام هذا شغل الشرق الاوسط مكانا مرموقا فى السياسة الخارجية الامريكية .

ولكن شعوب المنطقة نهضت تطالب بالاستقلال وحصلت عليه وقامت لتصنع لنفسها وبنفسها حياة جديدة رافضة أن تظل هدفا لسياسة الاستعمار .

ولعل ثورة يوليو ١٩٥٢ قد بلورت هذه الحركة التحررية بشعاراتها ومواقفها ، ولم تمض سنوات قليلة حتى برزت ثورة يوليو — طليعة وقائدة لحركة التحرر الوطنى فى الشرق الاوسط .

وسرعان ما انقلبت سياسة محاولة احتواء ثورة يوليو من جانب الولايات المتحدة الى سياسة العداء السافر الهادف الى اسقاط النظام التقدمى فى مصر

وتضافرت كل الجهود من جانب الساسة الامريكيين بمعاونة

الرجعية العربية واسرائيل معـا وليس هنـا مجال التطرق لهذه **المؤامرات التى هدفت أول ما هدفت اليه الحفاظ على المصـالح الامريكية ثم خدمة مصالح توابعها** . وقد بلغت ذروتها فى حـرب ٥ يونيو ١٩٦٧ .

ففى الفترة من ٥٦ ـــ١٩٦٧ ، كانت مصر تبدى اهتماما فائقا ببناء الاساس المادى (الاقتصادى) لقوتها كقلعة لحركة التحـرير العربية وساندت مصر القوى الوطنية فى المنطقة ، واكدت الجوانب الايجابية لمفهوم الحياد الايجـابى . وأقدمت على توثيـق علاقات الصداقة مع الدول الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى .

وبدت خريطـة العـالم العـربى ، نتيجـة لما تقـدم ، **فى أواخر عام ١٩٦٥ على النحو التالى : المصالح الامريكية البترولية فى الجـزيرة العربيـة بأسرها محـاصرة من كل جانب** . وفى نفس الوقت تقف مصر متضامنة مع حركة التحرير اليمنيـة ، وتساند انتفاضة جنوب الجزيرة العربية عند منـابع البترول . نضيف الى ذلك أن العراق وسوريا قد استقر بهما نظامان تقدميان . أما داخل اسرائيل فقد **برزت التناقضات الطبقية** وشهدت اسرائيل موجة من الاضطرابات بل **وزادت الهجرة منها عن الهجرة اليها** .

أمام هذا الخطر الداهم تضافرت مرة أخرى قوى الاستعمار الامريكى والقوى الموالية لها واسرائيل التى انقضت فى ٥ يونيـو ١٩٦٧ لضرب الحركة التحررية العربية .

الدوائر الامريكيـة
الاقوى ارتبـاطا باسرائيل

من الخطأ ان نتصور أن الحركة الصهيونية فى الولايات المتحدة هى المؤيدة الوحيدة لاسرائيل . بل هناك أيضا ـــ وفى المقام الاول ـــ دوائر احتكارية أمريكية تلعب دورا هاما فى هذا التأييد وعنـدما

---

* فى ١٩٧٤ .

نقول احتكارا نعني الاحتكارات المالية والصناعية الكبرى التي ليس لها من دين سوى **الربح ، اقصى حد للربح على حساب الطبقات الكادحة في بلدها وخارج حدود هذه البلاد** . ونذكر على سبيل المثال بين هذه الاحتكارات : « **لوكهيد ايركرافت** » صانعة المطاردات التاذفات ف ـ ١٠٤ والطائرات الكارجو (حاملات الجنود والعتاد الحربي) ك ـ ١٣٠ وك ـ ١٤١ . وكذا شركة « **جنرال دايناميكس كوربوريشن** » صانعة الغواصات الذرية والصواريخ والقاذفات ف ـ ١١١ وقد صرح مديرها وهو من أغنى الأفراد في الولايات المتحدة واسمه دافيد باكارد : « **يتحتم علينا أن نبيعهم (أى اسرائيل) كافة الاسلحة اللازمة لهم حتى نمكنهم من أن يتحملوا ذلك الحمل الجبار الذى حملناهم اياه** » . وبعد هذا الحديث تتمة لما اوردته جريدة آسيا وذكرناه من قبل .

بل ان بنك « **تشيزمانهتان** » الذى تملكه عائلة **روكفلر** (وابرز أعضائها اليوم : **نلسون روكفلر نائب رئيس الولايات المتحدة**) **قد انشأ شركة « ماكدونل ايركرافت كوربوريشن » صانعة الفانتوم** (قاذفة القنابل على مدن القناة وعمال أبو زعبل وأطفال المدارس) .

وتتلقى اسرائيل مساعدات ضخمة من احتكارات البترول وعلى رأسها « ستاندراد اويل اوف نيوجيرزى » (التى تملكها ايضا مجموعة روكفلر) وكذا « ستاندارد أويل أوف أنديانا » (التى برأسها صهيونى هو جاكوب بلاوشتاين . وكان عضو بالمؤتمر الصهيونى الذى عقد فى لندن عام ١٩٤٥) .

وهذه بعض من الاحتكارات الأخرى المنتجة للاسلحة والمرتبطة بشكل أو بآخر بالصهيونية : « جنرال تاراند رابركومبنى »

و « راديو كوربوريشن أوف أمريكا » الخ .

والواقع ان الاحتكارات الامريكية التي تعمل في الانتاج الحربي يهمها أن تظل حالة التوتر في العالم وفي المنطقة (الشرق الاوسط) حتى لا تغلق أمامها الاسواق التي تصدر اليها الاسلحة .

وكان يهم الاحتكارات البترولية حتى ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، أن تجد حارسا كفؤا على أتم الاستعداد للانتضاض على من يجرؤ من الشعوب العربية على المساس بمصالحها الاحتكارية الحيوية .

التعاون الامريكي ــ الاسرائيلي

في المجال العسكري ومجال المخابرات

هناك تطابق يكاد يكون كاملا بين الاستراتيجية العسكرية الامريكية ، وبين الاستراتيجية الاسرائيلية .

ففي مجال المساعدات العسكرية ، قدمت امريكا اخيرا اكثر من الفي **مليون دولار** لاسرائيل ــ اثناء حرب اكتوبر وبعدها ــ تضمنت ضمن أشياء أخرى **وحدتين بحريتين : حاملتان للطائرات . والمعروف ان الاستراتيجية الامريكية تقوم الآن اساسا على السلاح البحري** (حاملات طائرات غواصات ذرية ...) باعتبارها **قواعد متنقلة** يمكن أن تذهب الى اى مكان ، **حركتها خفيفة وخفية** (الغواصات) تضرب على بعد من السواحل لتصيب بصواريخها اي بقعة من بقاع العالم .

فاذا قررت وزارة الحربية الامريكية **منح اسرائيل حاملات طائرات فليس هذا ارضاء** لاسرائيل فحسب ، بل ايضا **لكافة الاحتمالات التي تخطط لها العسكرية الامريكة استراتيجيا .**

وفى مجال المخابرات .. تلعب الصهيونية دور العميل الامريكى على النطاق العالمى . ومصدر قوة المنظمة الصهيونية الامريكية تكمن فى تشعب وتباين اتصالاتها وعلمها الوثيق بأولئك الذين يتحكمون فى الموارد البشرية ، ويمكن الاعتماد عليهم . فاذا كانت المخابرات الامريكية (أو البريطانية والفرنسية ...) فى حاجة الى عميل موثوق فى أوديسا (الاتحاد السوفيتى) أو فى أفريقيا ، فلتتصل بالمنظمة الصهيونية لتجد ما تريده .

وتلعب المخابرات الاسرائيلية اليوم الدور الذى كانت تلعبه المنظمة الصهيونية (وان لن ينته تماما) قبل انشاء دولة اسرائيل .

يقول دافيد نيس (الملحق الامريكى فى القاهرة ابان حرب ١٩٦٧) :

(ان التعاون الامريكى — الاسرائيلى فى مجال تبادل أعمال المخابرات لم يسبق له مثيل . **لقد كانت معلومات المخابرات العسكرية التى طلبتها واشنطون من سفارتها ووكالة المخابرات المركزية وهيئات المخابرات العسكرية فى الشرق الاوسط خلال الشهور الستة التى سبقت حرب يونيو ١٩٦٧ كانت كلها مبنية على أساس تحتاجه اسرائيل ومما ضمن — جزئيا — فعالية الضربات الجوية الاسرائيلية فى ٥ — ٦ — ١٩٦٧ انما هى المعلومات التى جاءتها من مصادر أمريكية عن المطارات والاستعدادات الجوية المصرية** . وبالنسبة للمعلومات السياسية والاقتصادية فقد اعتادت وزارة الخارجية الامريكية منذ زمن طويل أن تزود سفارة اسرائيل فى واشنطن بنسخ من كل تقارير السفارات الامريكية فى الشرق الاوسط ترى أن له أهمية » .

(جريدة التايمز اللندنية عدد ١٩٧١/٢/٥)

هكذا تكون العلاقة مع اسرائيل التى حملت ذلك العبء الجبار : **حماية المصالح الامريكية فى الشرق الاوسط** دون أن تضحى الولايات المتحدة بمئات الآلاف من الارواح الامريكية ، والثمن ! يا له من ثمن زهيـــد : الفى مليون دولار (هى قطـــرة لا تذكر من الارباح التى ابتزتها — ومازالت تبتزها الاحتكارات الامريكية من أرباحها البترولية فى الشرق الاوسط .

وهكذا يتضح لنا :

انه وان كانت الدوائر الصهيونية الامريكية هى ركيزة اسرائيل الاولى — فكريا ودينيا — فانه يستحيل على هذه الركيزة وحدها وبمفردها — ورغم ثقلها ، حمل الولايات المتحدة الامريكية على تقديم ذلك القدر من التأييد والعون لولا المصالح الاقتصادية الامريكيـــة الهائلة التى هى قطعا وبلا منازع المؤيدة الرئيسية لاسرائيل .

فاذا صفيت هذه المصالح ... انتهى تأييد الولايات المتحدة الامريكية لاسرائيل .. ..

« ٦ أكتـــــوبر »
والعلاقات الامريكية — الاسرائيلية

دل العبور — ٦ اكتوبر — على أن حركة التحـــرر الوطنى العربية حية، بفضل يقظة وحركة الجماهير ، ما دل على أنهـــا مازالت تواصل سيرها الى الامام .

لقد قضى العبور نهائيا ، وبما لا رجعة فيه ، على أسطورة أن اسرائيل لا تهزم .. فقد تلقت اول هزيمة ولو جزئيا ، ولو مرحليا .

وأوضح قرار حظر البترول أثناء حرب أكتوبر ، أن هنالك تناقضا بين الدول المنتجة — **ايا كانت انظمتها** — وبين الاحتكارات البترولية الامريكية أساسا .. **ولاول مرة ، اثر العبور ، يفساجأ الاسياد الاستعماريون ، بمالكى البترول الشرعيين ، يمنعونه عن اعداء شعوبهم** ، وان باعوه .. كان ذلك بسعر تحدده قوانين السوق ولا تحدده اتفاقات تفرض فرضا من واشنطن أو نيوجرسى .

وأمام الارتفاع المفاجىء لاسعار البترول ، يبدأ **سباق تصاعد كافة الاسعار فى العالم الراسمالى** ، واخذ التضخم يستفحل وينذر بأزمة طاحنة لم تشهدها الراسمالية حتى فى الثلاثينات .

وبالتالى بدت موجة عارمة من الاضرابات بين العمال واصحاب الحرف والموظفين والمهنيين والطبقات المتوسطة — حتى الراسمالية منها — صغار ومتوسطى التجار وأصحاب المصانع .

ولكن الامر لم يقف عند هذا الحد **فالتنافس على الاسواق يأخذ شيئا فشيئا شكل الحرب الاقتصادية** بين احتكارات الولايات المتحدة الامريكية وبين احتكارات أوربا واليابان .. كل من الثلاثة يحاول قطع الطريق على الآخر والفوز لنفسه بما تيسر وبقى من سوق عالمية تنحسر رقعتها يوما بعد يوم بفضل حركة التحرر الاقتصادى لدى شعوب العالم الثالث ، التى كانت مرتعا خصبا ومباحا لاستغلال الاحتكارات ، وبفضل تعاظم الاندماج الاقتصادى بين دول المجموعة الاشتراكية واتساع رقعة معاملاتها الداخلية والخارجية .

كيف اثر ذلك كله فى العلاقات الامريكية الاسرائيلية ؟ .. الواقع يقول انه لم يحدث تغيير جذرى فى طبيعة نظام الحكم الامريكى . واذا كانت حكومة اى دولة هى الجهاز الذى يديرها

لحساب الطبقة السائدة ، فهل يمكن ان يدعى احد ان ٦ اكتوبر — او عبور القتال — قد ادى الى تغيير جذرى او جوهرى فى الطبيعة الطبقية لنظام الحكم فى الولايات المتحدة وبالتالى فى حكومته وواضعى استراتيجيتها فى السياسة الخارجية حتى انقلبت هذه السياسة بين عشية ٦ اكتوبر وضحاها من معادية للاشتراكية ومعادية لتحرير الشعوب الى سياسة مؤيدة لهما ؟

حل فورد محل نيكسون فى رئاسة الولايات المتحدة ، وفورد **لم ينتخب** بل عينه مجلس الشيوخ كنائب للرئيس ثم **اقره** رئيسا .. ومجلس الشيوخ الامريكى قلعة من قلاع الحرب الباردة وقلعة لمناهضة الانفراج الدولى .. **ثم قام فورد بتعيين نلسون روكفلر** عميد عائلة **روكفلر** المسيطرة على احتكارات **البترول** ، وعلى **البنوك ، ومنها بنك شيزمنهتان** ... نائبا له ، اى نائب رئيس الولايات المتحدة الامريكية .

وابقى فورد على كسينجر وزيرا لخارجيته . وكسينجر **يرشح بدوره عضوا آخر من عائلة روكفلر** — ديفيد روكفلر ، رئيس مجلس ادارة بنك شيز منهتان، **لتولى مركزا قياديا فى وزارة الخارجية الامريكية** وهذا يؤيد ما بيناه من أن هذه الوزارة حكر للاحتكارات الروكفلرية لانها من أهم أجهزة الحكم ليضمنوا بأنفسهم حماية مصالحهم خارج حدود الولايات المتحدة ، ومنها الشرق الاوسط .

والواقع يقول ايضا انه لم يحدث تغيير جذرى فى نظام الحكم الاسرائيلى . صحيح ان حكومة مائير قد سقطت ، **وتحطمت هالة** موشى ديان العسكرية والسياسية . ولكن **الحكومة الجديدة** — بوجه عام — مازالت تسيطر عليها العناصر **الصهيونية ذات الفرك العدوانى** .

كذلك فان اسرائيل **لم** تهزم بالمعنى المطلق للهزيمة ، **وان قضى بلا رجعة** على أسطوره انها لا تهزم .

كما أن اسرائيل تواصل تسلحها العسكرى **بفضل المساعدات الامريكية** . لأن المصالح الطبقية للاحتكارات الامريكيــة مازالت فى حاجة للاحتياطى العسكرى الاسرائيلى .. امام اية احتمالات طارئة

على أن الواقع يقول أيضا انه لم يحدث تغيير جذرى فى انظمة الحكم العربية التقدمية .

لقد كانت حرب يونيو ١٩٦٧ تهدف الى القضـــاء على **انظمة** الحكم العربية التقدمية (مصر ، سوريا) ، بل كانت **تهدف أول ما** تهدف ثورة يوليو فى مصر التى قادت حركة التحرير العربيــــة وهددت ـــ فى مدها ـــ بالقضاء على المصالح الاحتكارية الامريكيــة (وفى مقدمتها البترول) .

ولكن ٥ يونيو ٦٧ اعقبه ٩ ر ١٠ يونيو .

ولكن ٥ يونيو ٦٧ أعقبه أصرت الجماهير على الصمود وتحرير العربية **والمقاومة الفلسطينية .**

ولكن ٥ يونيو ٦٧ أعقبه ظهور حافز جديد لحركة التحـــرر **الارض وأدى هذا الى ٦ اكتوبر ، الى العبور .**

فالخطر من وجهة نظر الاحتكارات الامريكية (وهى المهيمنـــة على سياسة بلدها) مازال قائما .

والخطر لابد له من علاج ومن وسائل العلاج فى القضاء على الخطر : من داخل الانظمة أو من خارج (اسرائيل) .

التناقض بين الدول العربية المنتجة للبترول
وبين مصـــــالح الاحتـــكارات الامريكيـــــة

ما من شك فى أن الاحتكارات البترولية الامريكية قد افادت من قرار حظر البترول وحتى بالنسبة لمنعه عن الولايات المتحدة **نفسها** . فارتفاع سعر البترول أدى الى **مضاعفة الارباح** التى حصلت عليها الاحتكارات . وقد دلت الاحصائيات على أن أرباح الاحتـــكارات الامريكية الكبيرة هذا العام قد بلغت ثلاثة أو أربعة اضعاف أرباحها بالنسبة الى العام الماضى .

على أن قرار حظر البترول ، وقرار رفع سعره هو فى **نفس** الوقت قرار **تحررى — موضوعيا** — رغم ما يـكون قد اعتراه من الخلفيات وبواعث . ذلك أن حركة التحرر الوطنى ذات شقين سياسى واقتصـــادى .

وقد أصبح الآن التحرر الاقتصادى هو الجانب الرئيسى — بوجه عام — فى حركة التحرر الوطنى ومؤداه أن الشعوب التى ينهب الاستعمار ثرواتها نهبا ترفض هذا النهب . وتصارع فى سبيل أن تعود عليها منافع هذه الثروات . وذلك أيا كانت انظمة الحـكم التى تسود فيها **(فالخزائن الخاصة اليوم ستصبح عامة فى يوم ما)** .

هذا المطلب الشرعى ، من جانب الشعوب أو **حكوماتها — أيا** كان مضمونها الاجتماعى — يتناقض ويتعارض ومصلحة **الاحتكارات** الامريكية وغيرها .

من هنا تطالعنا الصحف يوميـــا عن « أمل » أو « أسف » الاحتكارات الامريكية « لرفض بعض الحكومات الصديقة **تخفيض**

سعر البترول » . كما تطالعنا يوميا انباء التسابق بين الدول المنتجة للبترول ، (والدول العربية هى التى تعنينا هنا) نحو المزيد من الحصص فى استغلال بترولها . ويعنى هذا فى المقام الاول تضاؤل حصص الاحتكارات البترولية الامريكية .

فهل تقف هذه المواجهة العارمة ؟ وما هو سبيل الاحتكارات الامريكية لوقفها ؟ ان حكام اسرائيل جاهزين للمهمة مجهزين لها ، بفضل المساعدات العسكرية والاقتصادية والمالية التى تغدقها عليها تلك الاحتكارات .

لذلك كله نقول : أن العلاقات الامريكية الاسرائيلية لم — ولن — يطرأ عليها فى المدى الاستراتيجى المنظور تغيير جذرى او جوهرى الا اذا تحقق احد الاحتمالات الثلاثة :

● تغيير جذرى فى الطبيعة الطبقية الراهنة لنظم الحكم الامريكى .

● تغيير جذرى فى الطبيعة العنصرية العدوانية لنظام الحكم الاسرائيلى .

● تغيير جذرى وجوهرى فى انظمة الحكم التقدمية لدى بعض الدول العربية .

ولكن ذلك كله لا ينفى أن تغييرا ما قد حدث فى العلاقات الامريكية الاسرائيلية . فما هو ؟

سبق أن أوضحنا عند تناولنا للاستراتيجية الامريكية فى السبعينات انها تحت ضغط لعوامل عالمية : تغير موازين القوى

لصالح التيـــــار الثـــورى العــــــالمى بروافده الثـلاثة : **الاشتراكية** ، التحرر الوطنى والحركة العماليـــــة والديموقراطية فى الدول الرأسمالية . **وداخليـــة :** بوادر تغيير فى موازيين القـوى الاحتكارية الامريكيـــة المختلفة . أمام هذه العـــوامل اضطرت السياسـة الخارجية الامريكية أن **تغير فى أساليبها** وحيث لا جدوى من العنف السافر ركنت الى ما أسمته « **بالدبلوماسية الهادئة** » .

بل حتى **هذا التغيير فى الاسلوب يعبر — فى تطبيقه — عن** الطبيعة المتناقضة للسياسة الخارجية الامريكية وخاصة فى الشرق الاوسط كانعكاس لتنـــاقض المصــــالح الاحتكارية الامريكيـــة **فيما بينها :**

— فالاحتكارات المنتجة للاسلحة والتى ترتبط خارج الولايات المتحدة باعتى النظم رجعية (مثل اسرائيل) وتؤيد هذه الدولى كل التأييد (الاغداق بالاسلحة على اسرائيل) تمسكا منها بسيـاسة العنف .

— أما الاحتكارات المستثمرة اموالها فى الخارج (كالبترول) فتبدو **أكثر واقعية وتميل — الآن —** الى انصاف الحلول : ابتداء من محاولة لاحتواء بعض الانظمة التقدمية العربية الى الضغط سياسيا على اسرائيل — وبرفق — ومن هنا : اتفاقات الفصل بين القوات على ضفتى قناة السويس وفى الجولان والوعد **بالدولارات تصـــدر** منها الى جميع الاطراف المبـــاشرة فى النزاع .. حتى تحل أزمة البترول .. **بخير** .

ومع **هذا** ، وحتى هذه السياسـة المتسمة بالواقعية ، تتعارض ومصالح الاحتكارات الأخرى (صناعة الاسلحة) ، وتقع تحت ضغط وساط **الصهيونية الامريكية** ذات النفوذ المتغلغل ، بعمق ، داخل كافة الاحتكارات .

يمكن أن نقول اذن ، ان التغيير الذى حدث فى العـــلاقات الامريكية ــ الاسرائيلية **هو الضغط** ــ برفق ــ على اسرائيل . هذا هو الجديد . وقابله على الجانب الآخر تغيير فى الاســـلوب « تجاه الانظمة التقدمية العربية : بتقديم الوعود بدلا من العصـــا (لانها لم تعد تجدى فى الظروف الراهنة على الاقل) .

. . . وبعـــد :

هذا هو فهمنا لطبيعة العلاقات الامريكية ــ الاسرائيلية وما تطورت اليه **بعد** وبسبب « ٦ أكتوبر » . ويمكن أن نرصد هنـــا الخطوط التالية :

١ ــ أن التغيير الطفيف ولو فى « الاسلوب » **قد جاء نتيجـــة للصراعات الطبقيـــة على** كل من الصعيد العـــالمى . وفى الولايات المتحدة الامريكية وفى الشرق الاوسط ذاته . وقد أســـفرت هذه الصراعات عن انتصار جديد للشعوب : **الانفـــراج الدولى اولا ثم** اضطرار الطبقات المعنية فى الولايات المتحـــدة لى أن **تضغط** برفق على اسرائيل ، وان تغير فى « اسلوب » تناولها للانظمة التقدمية العربيـــة .

٢ ــ **أن كفاح الجماهير** على الصعيد العالمى والاقليمى والمحلى **هو** الذى **اجبر الاستعمار الامريكى على التغيير** » .

٣ ــ ان يقظة الجماهير وتعبئتها الدائمة واطلاق قدراتهـــا الكفاحية (**مادية ، ثقافية ، وعسكرية**) **هو** الضمان الوحيد للمزيد من الضغط على العدو « **الاستعمار والصهيونية** » ، فالمزيد بالتـــالى من الانتصــــارات .

٤ ــ ان الاستعمار مهمــــا قيل او يقال لن يغير من طبيعته

المناهضة للشعوب ، كما أن تغير حركة التحرر الوطنى العربية (وغيرها) من طبيعتها الطبقية الجماهيرية . فالصراع قائم ، لا محالة ، أراد البعض أو لم يرد لأنه واقع موضوعى . كما أن النصر للجماهير أمر لا ريب فيه .

٥ — ليس هناك على الاطلاق ما يسمى بالولايات المتحدة الامريكية **مجردة** أو اسرائيل **مجردة** أو مصر **مجردة ، بل هناك مصالح طبقات اجتماعية قضى التاريخ على بعضها ان تزول وهي ترفض أن تزول . وهناك طبقات اجتماعية أخرى قضى لها التاريخ بالحياة ولا يراد لها الحياة .**

وهل يمكن معاندة التاريخ ؟ .

نص حديث اجــراه معى الأخ
صـــــلاح حــافظ بمجـــلة
« روز اليوسف » عدد الاثنين
٢ مـــــارس ١٩٧٥ عقب
الافـــــراج عنى فى القضية
رقم ١٩٧٥/١٠٠ حصـــــر
امن دولة عليـــا .

ارفض
صورة اليهـــودى
التـــائه ..

اطلق يوم الجمعة الماضى ٢١ فبراير سراح اليهودى اليسارى الشهير هارون المحامى .

وكانت احدى الصحف الكبرى فى القاهرة قد زفت الى قرائها بشرى القبض عليه ، فى يناير الماضى ، تحت العنوان المثير : يهودى يسارى بين المتظاهرين ! ..

ثم ظهر أن الرجل قبض عليه فى بيته ، وان النيابة لم تقـــدمه فى قضية المظاهرات ، وانما فى قضية أخـــرى مختلفة ، هى قضية التنظيمات اليسارية .

ثم ما كاد يتقدم الى المحكمة معترضا على امر حبسه حتى امرت

المحكمة بالافراج عنه . ولم يستخدم رئيس الجمهورية حقه القـانونى فى الاعتراض على هذا القرار !

ما هى حكاية هذا الرجل بالضبط ؟

واجبى كمواطن

قال شحاتة هارون :

— انا يهودى نعم .. ويسارى نعم .. ولكن الصفة الاهم هى اننى مصرى .. وفى حدود معلوماتى لا يشـترط ، لكى اكون مصريا ، أن أغير دينى أو أغير معتقداتى السياسية .

● هذا صحيح ، ولكن يشترط أن يكون ولاؤك لمصر .

— وهل لى ولاء آخر ؟ حتى النيابة لم تتهمنى بذلك .

● لمـاذا ؟

— لأنه ما من جهة فى الدولة تجهل نشاطى داخل البـلاد وخارجها ، ضد الصهيونية ، ولست اقول هذا تفضلا على بلادى ، بل اننى فى الواقع آسف جدا لاضطرارى الى الاشارة الى هـذا النشاط الذى هو جزء من واجبى كمواطن ، وقد طلبت لتطـوع فى ١٩٥٦ و ١٩٦٧ .

التفوق اليهودى خرافة :

● أليس غريبا أن تكون يهوديا ومعاديا للصهيونية ؟

— ليس أغرب من أن تـكون مسـلما وترفض « الاخوان

المسلمين » أو أمريكيا أبيض وترفض التفرقة العنصرية ضد الزنوج . ان الصهيونية حركة عنصرية . عدوانية . تدين بعض الافكار التى يستند اليها الذين اضطهدوا اليهود فى المانيا ، والذين يضطهدون السود فى أمريكا .

● الا تؤمن اذن بتفوق الجنس اليهودى ؟

ـ لا أؤمن بتفوق أى جنس .

● لكن اليهود يفاخرون بأن كثيرا من النوابغ ينتمون اليهم .

ـ ربما يبدو هذا صحيحا للوهلة الاولى ولكنهم لا يختلفون فى هذا عن آية أقلية فى أى مجتمع . فالاقلية تميل الى تسلبح نفسها بالعلم أو المال ، كلاهما يعطى فرصة أكبر لظهور المواهب . والدليل على أن المسألة ليست خاصة بالعنصر اليهودى بالذات هو انه فى مصر لم يظهر نوابغ من اليهود . . فهم متخلفون لانهم ولدوا فى بلد متخلف .

أرفض صورة اليهودى التـائه :

● هل تؤمن حقا بأن اليهودى فى مصر لا يتعرض للاضطهاد ؟

ـ ليست المسألة ايمانا ، وانما هى حقيقة . ان مصر لا تعرف ما يسمى « بمعاداة السامية » ، قد توجد مشاعر معادية لليهـود ولكنها رد فعل للعدوان الاسرائيلى وهذا شىء مختلف تماما عن معاداة السامية فى أوروبا . ففى أوروبا يعادون اليهود لانهم يهود . أما فى مصر ، فان صورة اليهودى قد اختلفت عندما ظهر الصهيونى على المسرح . . وأى تغير فى نظرة الشعب المصرى الى المواطن اليهودى نانجم عن سلوك الدوائر الحاكمة فى اسرائيل واتجاهاتها العدوانية .

● لكن معظم اليهود نزحوا من مصر الآن . فلمـــاذا لم تنزح انت ؟

ــ لاننى أرفض أن أنزع عن نفسى . . وباختيارى ، صفتى كمواطن وحتى كانسان كما ارفض صورة « اليهودى التائه » . . على اليهودى كأى مواطن أن يتبنى قضايا الوطن الذى ينتمى اليه فهذا ضمانه ، وليست الصهيونية .

● ما الذى الهمك هذا الرفض ؟

ــ بحث ماركسى قرانه وانا شاب ، يقول ان لليهود فى العالم ثقافتين متمايزتين . . الاولى ثقافة الحاخامات الرجعية ، لتى تسود حيث يضطهد اليهود ، والتى تحمل طابعا انطوائيا خاصا . والأخرى ثقافة اليهودى الانسان ، الذى يقبله مجتمعه ، وهى لا تنفصل عن ثقـــافة هذا المجتمع وعن الثقـــافة الانسانية . انظر الى الثقـــافة الاسلامية مثلا . . لقد عاش اليهود فى ظل الدولة الاسلامية مواطنين على قدم المساواة مع غيرهم ، فصبوا كل ثمار عقولهم فى تيـــــار الحضارة الاسلامية العام ، وقد حملنى هذا على أن أرفض كل فكرة تجعلنى مختلفا عن بنى وطنى أو منفصلا عنهم . ومن هنا نشـــأت كراهيتى للفكرة الصهيونية .

● الم تجد متاعب فى تمسكك بالبقاء ، ومواجهة مشاعر الشعب الثائرة على الأعتداءات الاسرائيلية .

ــ فى مثل وضعى لابد طبعـــا من بعض المتـــاعب . . ولكن ما ابضرها ! اذكر فى وقت من الاوقات أن ابنتى كانتـــــا تعودان من المدرسة كل يوم باكيتين ، لان دروس التربية القومية تشتم اليهود ، وذات يوم زارنى صحفى أجنبى قادم من اسرائيل ، فسألته عن

دروس التربية هناك . فشرح لى ، أمام البنتين ،كيف ان هذه الدروس لا هم لها الا تمجيد اليهود ، واعتبارهم أرقى من جميع البشر ، مع تحقيرها للعرب ، كانت هذه فرصة أشرح فيها للبنتين أن ما يسمعانه هنا رد فعل لما يسمع التلاميذ هناك .. وبعد هذا لم تعد احداهما تعود باكية من المدرسة !

● وماذا عن المضايقات لك انت .. فى عملك مثلا ؟

ـ لا مضايقات على الاطلاق . لم أشعر ابدا بموقف من زملائى المحامين . أو من زبائنى ، أو من أصدقائى .. سببه أننى يهودى . وليس هذا شيئا غريبا .. فحواجز الكراهية الدينية او العنصرية دائما مصنوعة . دائما تأتى من أعلى .. أما بسطاء الناس فيتعاملون دائما باعتبارهم ولاد حواء وآدم . أى باعتبارهم أخوة .

كيان استعمارى لا يهودى :

● هل هذا ايضا موقف اليهود لماذا نجد معظمهم غير مستعدين للشعور بهذه « الاخوة » مع غيرهم ؟ لماذا يغلب عليهم التأييد الاعمى لاسرائيل ؟

ـ هذا ليس موقف اليهود جميعا . فمثل هذا الموقف يحتاج الى قدر من الوعى لا يتوافر بعد بين الجماهير عامة ، « يهودية وغير يهودية » أما عن التأييد الاعمى لاسرائيل فناجم عن الخطر الاعلامى غير السليم فى الماضى الذى اتبعته الحكومات العربية فادخلت فى نفوس يهود العالم الخوف على أقرانهم فى اسرائيل . ومن هذا المدخل تتسرب الدعاية الصيونية . فانك مثلا لا تملك اذا كنت مسلما الا أن تتعاطف مع مسلمى « الفلبين » المضطهدين واسرائيل تخدع يهود العالم يزعم انها« الكيان اليهودى» . .وتكسب بذلك عطفهم مساندتهم .

● وهل ترى انت أن اسرائيل ليست كيانا يهوديا ؟

ــ بكل تاكيد ! ان اسرائيل نشبات كيانا استعماريا . وقد بدأ الراى العام اليهودى فى العالم يدرك ذلك . واسرائيل تفقــد الآن مواقعها بين اليهود انفسهم ، وليس بين الراى العام العالمى فقط .

● لمــاذا ؟

ــ لانها بعد أن كسبت بعض الجولات الاعلامية والعســكرية بدأت تظهر على حقيقتها . . نظاما عنصريا عدوانيا يضطهد الانسان ، ويتحدى القيم الديمقراطية .

● ما هو الحــل اذن ؟

ــ فى المدى القريب انشاء دولة فلسطينية عربية على الضفة الغربية وقطاع غزة ، وفى المدى البعيــد توحيد الدولتين فى دولة ديمقراطية واحدة . . تتمتع بولاء سكانها جميعا بصرف النظــر عن العنصر والدين .

● هذا نفس مطلب منظمة التحرير الفلسطينية .

ــ وهو الآن مطلب بعض اليهود داخل اسرائيــل ذاتها وفى مقدمتهم حزب راكاح (الشيوعى) بل لقد تقدم بعض اليهود « المنتمين الى شيعة دينية لا تعترف باسرائيل » أخيرا الى منظمة تحـــرير فلسطين يطلبون منها الجنسية الفلسطينية .

● هذه أول مرة نسمع فيها هذا النبــأ .

ــ انه حقيقة . . وقد يكون الذين فعلوا ذلك أفرادا قلائل . ولكن موقعهم يبين بوضوح ما هو اتجاه المستقبل .

● ألا ترى أن مثل هذا المستقبل بعيد ؟

— نعم هو بعيد . ولكنه قادم لا محالة . وهو رهن بمدى تمتع الجماهير فى اسرائيل والدول العربية بالديمقراطية الشعبية .

اسرائيل الكبرى ؟

● فلنتحدث اذن عن المستقبل القريب . كيف ترى حل الصراع العربى الاسرائيلى الآن ؟

نقطة البدء التى لا مفر منها هى انشـــاء الدولة الفلسطينية العربية . ثم الحوار بين القوى الديمقراطية فيها وفى اسرائيـــل ، تمهيدا لاقامة الكيان الديمقراطى الموحد بعيدا عن العنصرية .

● ألا ترى انك ، بهذا الكلام ، تحلم بصوت عال ؟

— بالعكس . . أنا أرى أننى أردد ما سوف يفرضه التاريخ .

● لكن اسرائيل ترى انها حل طبيعى لقضية يهود العالم . وهى الآن ، بعد أن أصبحت أمرا واقعا ، تتطلع الى تجميع اليهـــود جميعا داخلها ، والى تحقيق حلم اسرائيل الكبرى .

— هذه خرافة أخرى يستحيل أن تتحقق ، لانها ضد التاريخ ، وضـــد قانون الطبيعة . فلم يسبق فى هذا العالم أن نشـــأت دولة تتألف من عنصر واحد ، حتى القبائل التى احتلت أرضا وانشـــأت فيها دولة ، لم تلبث أن تفرعت عنها دول كثيرة . ان تصور وجود دولة للجنس اليهودى وحده تصور شديد التخلف ومخـــالف لنص « وعد بلفور » وهو شهادة ميلادها . واذا كان التـــاريخ قد قضى

بأن تكون جميع القوميات فى العالم الآن خليطا من أجناس مختلفة ، فلماذا يقضى لليهود وحدهم بدولة من جنس واحد ؟

الصهاينة يتهموننى بالخيانة :

● كيف ينظر اليهود — يا ترى — الى آرائك هذه ؟

— كثيرون يؤيدونها . وفى مقدمتهم الديمقراطيون واليساريون . أما الصهاينة فيعتبروننى خائنا لاننى أرددها .

● خائنـــــا ؟

— نعم . وفى كثير من البلدان التى أسافر اليها يرفض بعض اليهود مقابلتى ، لاننى أردد هذه الآراء .

● ترددها أين ؟

— فى مؤتمرات عامة ، واجتماعات نقابية ، وحزبية . عندما أسافر لا أدع فرصة تفلت منى للتعبـــير عن هذه الآراء ، ودعوة اليهود الى الاقتنـــاع بها . ولهذا أصبحت كل رحلة لى الى خارج مصر معركة متصلة .

● الم يدهشك أن يتهمك الصهاينة بالخيـــانة ، ثم يقبض عليك فى مصر أيضا ، وتقدم للمحاكمة ؟

— لا أعتبر هذا شيئا غريبا . فالذى يحارب التعصب فى مثل ظروف الصراع العربى — الاسرائيلى يجب أن يتوقع المتاعب . ومع هذا ، فأنا لا أنكر أنى دهشت عنـــدما قبض على ، ودهشت أكثر عندما وصفت فى الصحف بأننى يهودى يسارى ، ولم أوصف بأننى

مصرى ، ومعاد للصهيونية ، ومناضل فى سـبيل حقوق الشعب الفلسطينى العربى ، وصاحب جهد فى هذا سبيل .. لا أدعى أنه كبير ، ولكن ادعى أنه مخلص وصادق .

● كيف تفسر هذا الموقف « الصحفى » منك ؟

ـــ أعتقد أن هذا السؤال ، ولا مؤاخذة ، يجب أن يوجه الى الصحافة .

● سؤال أخير ، وصريح :

هل تأثرت معتقداتك بالقبض عليك ، وبالنبأ الذى نشر عنك ، أو بعبارة أخرى : هل تفضل الآن ، اذا أتيحت لك الفرصـة ، أن تهاجر الى اسرائيل .

ـــ لن أترك مصر ولو قطعوا رقبتى . انهـا وطنى . حقى وواجبى . وأنا رجل محام ، لا يفرط فى حقه ، ولا يتهـرب من واجبه . ثم اننى لم أشعر فى أى وقت بأن شعبها قد لفظنى . وعندما قبض على وجدت عشرات من المواطنين معى فى السجن ، ووجدتهم من مختلف الاديان والمعتقدات . ولم أشعر باننى عوملت معـاملة تختلف عنهم .

وسكت « اليهودى اليسارى » شحاتة هارون لحظـات ثم قال فجأة :

ـــ اسمع . ان لكل انسان أكثر من هوية . وأنا انسان . أنا

مصرى حين يضطهد المصريون . واسود حين يضطهد السـود . ويهودى حين يضطهد اليهود .

● ومن أنت الآن ؟

ــ لست يهوديا ، لأن اليهود هنـا غير مضطهدين . ولست أسود ، لأن السود هنا غير مضطهدين . ولكننى مصرى .. لأن مصر ماتزال بعض أراضيها محتلة !

فى اواخر السبعينات طلب منى
الشهيد عصـــــام السرطاوى
تقريرا لعرضه على منظمـــــة
التحرير الفلسطينية عن وضع
اليهـود فى مصر .

وضع اليهود فى مصر

كلمة حق :

احقاقا للحق وقبل الخوض فى وصف ما عاناه اليهود منذ الاربعينات من هذا القرن لابد من الاقرار :

ان شعب مصر براء تماما وكلية من كل ما عاناه أبناؤه من اليهود . فقد عاني الشعب بطوائفه ومنذ آلاف السنين من قهر لا يؤهله بعد ، للدفاع عن حقوق أقلياته وهو المحروم من أبسط الحقوق .

اليهود فى مصر :

ـ لم تخلو مصر أبدا من اليهود . وكيف يكون غير ذلك ومصر منبعهم ومنها استقوا مبادىء دينهم .

ـ عاشوا فى عهد الاحتلال اليونانى القديم مئات الآلاف منهم . ثم انخفض ـ وفقا لبعض المؤرخين ـ الى مائة ! وقدر وليم لين ،

الرحالة الانجليزى ، أن عددهم ، فى غضــون النصف الاول من القرن ١٩ ، يقرب من ٥٠٠٠ .

— وارتفع هذا العدد ، لهجرات متتابعة من الولايات الأخرى للامبراطورية العثمانية حتى بلغ فى الثلاثينات من القرن العشرين بين ١٠٠ و ١٢٠ ألف .

— أما اليــوم فقد انخفض عددهم الى ٤٠٠/٥٠٠ فرد على الاكثر(١) .

مصر الرسمية ، مصر السلطة واليهود :

بدأت الاساءة الى اليهود بالذات على النحو وبالاســاليب الآتية :
١٩٤٢ — ١٩٤٨

— من كان منهم أهلا ليعتبر مصريا طبقا للقانون حرم من الحصول على ما يثبت هذه الهوية عن طريق وضع العراقيل فى ســـبيل الحصول على ما يسمى « بشهادة اثبات الجنسية » الا القليــل النادر . هكذا ومع اقتضاء « المصرية » كشرط للعمــل بالشركات أغلقت سبل العيش أمام غالبيتهم .

— تضافرت جهود الاستعمار والسلطات الرجعية والصهيونية لتأجيج حملات تهاجم اليهود كيهود ، كوسيلة لحرف الحركة الوطنية عن مسارها الطبيعى .

— وارتكبت ضدهم أعمالا ارهابية فكان مثلا يوم ٢ نوفمبر

---

(١) الآن يقلون عن ١٢٠ فردا .

من كل عام (وعد بلفور) يوم رعب لليهود ، تقوم فيه الجماعات الارهابية (بايعاز من المستعمر الانجليزى واغلب الظن بدفعة من المنظمات الصهيونية) بتحطيم المحلات المملوكة لليهود وتوضع القنابل فى معابدهم (حارة اليهود) .

أصبحت القاعدة العامة :

— ان كل يهودى صهيونى وذلك حتى يومنا هذا .

— حملة لم تتوقف خلال اكثر من ثلاثين عام على صفحات الجرائد والمجلات ، وفى الاذاعة والتليفزيون تسفه وتحقر من الدين اليهودى ومن اليهود ولا صوتا يرتفع بكلمة حق الا ما ندر .

١٩٤٨ :

— وضع اليهود (دون تمييز فى النزعة السياسية أو حتى انعدامها) فى المعتقلات .

— صدر قرار باخلاء اليهود (الغى بعد يومين نتيجة لضغط الدول الاوربية) من شققهم التى تقرب من أو تطل على المبانى الرسمية (وزارات ، جامعة الدول العربية ....) .

بل منعت سيارات النقل ، التى كان مفروضا أن تنقل اثاثهم (الى حيث لا يدرون) ، من أن تقف الى جانب الارصفة . وامام ضيق المهلة للاخلاء اضطروا الى القاء اثاثهم من الشرفات .

— وضعت أموال غالبية اليهود تحت الحراسة (أسوة بأموال الفرنسيين والانجليز والاستراليين) دون تمييز بين الصهيونى وغير الصهيونى .

ــ ومنح أصحاب العمل الحق فى فصل عمالهم وموظيفهم من اليهود عن أعمالهم (أمر عسكرى ١٩٤٨/٤) وقد فصل منهم من كان يعمل لدى المنشآت الخاضعة لتدابير الحراسة وغيرها .

ــ ومن أودعوا المعتقلات ، عرض عليهم البقاء فيها أو المغادرة

النهائية . فآثر العديد منهم المغادرة خــلال السنتين والنصف التى امتد اليها الاعتقال .

ــ وتبعها هجرة جماعية أولى لليهود .

١٩٥٠ ــ ١٩٥٥

أصدرت جامعة الدول العربية توصيات سرية نذكر منها :

ــ الضغط على اليهود فى الاقطار العربية لمغــادرة بلدانهم المنتمين اليها مغادرة لا رجعة فيها .

وكان الاسلوب المتبع هو الآتى :

(أ) من يرغب فى السفر لا يقبل طلبه الا بشرط أن يكون هــذا السفر لا عودة منه (أى مغادرة نهائية) .

(ب) تسحب منه وثيقة السفر المصرية (ان كان متمتعا بها) أو بطاقة الاقامة اذا كان أجنبيا أو غير معين الجنسية .

(جـ) يطلب منه أن يوقع على تنازل عن جنسيته (هنــا ، المصــــــرية) .

(د) يسلم تذكرة مرور عليها تأشيرة : مغادرة نهائية .

(هـ) بعد سفره بمدة يصدر وزير الداخلية قائمـة بأسـماء من سافروا وينذرهم بإسقاط الجنسية المصرية عنهم ما لم يعودوا خلال مهلة يحددها القرار ويلاحظ :

١ ــ أن القرار صادر بمصر ولا يعلن عنه فى الخارج .

٢ ــ أن أولئك الذين علموا بصدور القرار وتقدموا لقنصليات بمصر بطلب العودة رفض النظر فى طلباتهم .

ــ وضع اليهود فى القوائم السوداء بحكم دينهم بموجب قرارات وزارية نذكر منها القرار ١٩٦٤/١٨٣ الذى أصدرته وزارة الداخلية المصرية . مازال نافذا .

١٩٥٦ :

ــ مع الاعتداء الثلاثى (اسرائيلي ــ فرنسي ــ انجليـزى) اتبعت ذات الاساليب بشكل أكثر اتقانا كتلك التى اتبعت اثر حرب ١٩٤٨ بل تم اعتقال النساء والرجال معا .

وكانت أزمة المساكن فى القاهرة قد بدأت تستفحل فانتهز بعض رجال الامن وغيرهم فرصة دفع اليهود الى المغادرة أو معاونتهم عليها مقابل النزول لهم عن شققهم بما بها من اثاث .

ــ وتبع هذه الاجراءات هجرة جماعية ثانية لليهود .

١٩٦١ :

ــ عندما صدر الامر العسكرى رقم ١٩٦١/١٣٨ بوضع أموال

الرجعيين المصريين (كبار ملاك عقاريين ورأسماليين) تحت الحراسة فقد شمل صغار ومتوسطي التجار من اليهود . ونسبة هؤلاء في قوائم الحراسة عالية جدا ولم تكن تتناسب البتة لا مع مركزهم في الاقتصاد المصري (بعد تصفية العديد منهم في ١٩٤٨ و ١٩٥٦) ولا مع عددهم الكلي بالمقارنة الى تعداد مصر .

وجدير بالذكر أن ضباط المباحث كانوا كلما يسيرون في الشوارع ويجدون محلا مملوكا ليهودي يسرعون الى اضافته الى القوائم .

١٩٦٧ :

ــ كان شائعا قبيل هذه الحرب انه في حالة نشوبها سوف يقبض على اليهود جميعا ، نساءا أو رجالا ، البالغين بين السابعة عشر والخمسين سنة .

وبالفعل وبين ظهيرة يوم ٥ يونيو ومسائه كانت سلطات الامن قد اكملت القاء القبض ، من الاسكندرية حتى أقصى الصعيد ، على كل من تبقى في مصر من رجال اليهود أرباب الاسر أو أولادهم الذكور (بين ٣٥٠ و ٣٧٠ فردا) دون مراعاة لحدود السن التي كانت قد شاعت من قبل ، طبعا وكالمعتاد استثنى منهم أولئك الذين تربطهم بالسلطات . . . «صلات» خاصة من مهربي النقد والمعروفين بعلاقاتهم بالمؤسسات الصهيونية .

ــ أودع المعتقلون بأقسام البوليس وتعرضوا فيها لضرب مبرح . . وفي اليوم التالي (١٩٦٧/٦/٦) تم ترحيلهم الى سجن أبي زعبل حيث استقبلوا استقبالا « حارا » : ضرب وتهديد باطلاق الرصاص ومهانات يندى لها الجبين .

ووزع هذا العدد (٣٧٠/٣٥٠) على خمسة زنزانات مساحة كل منها ٩ × ٥٠ر٤ مترا بواقع ٧٥/٧٢ فردا فى كل زنزانة أى لكل منهم بلاطتين ونصف عرضا ، ينامون على جوانبهم لضيق المكان وقد جردوا من ملابسهم المدنية ، وتم حلق رؤوسهم وارتدوا « ثياب » المسجونين .

ظلت الزنازين مغلقة عليهم ٢٠ يوما لم يصرح للمدخنين بشراء السجائر . وحرموا من الجرائد من ٥ يونيو حتى ٧ أغسطس . استمر الضرب والاهانات : مثل اضطرار الشباب والشيوخ الذى يقع عليهم اختيار الضابط (الضابط لا تزيد سنه عن ٢٣/٢٢ سنة) بأن يقول بصوت عال « أنا خول » وهو ملقى على الارض على بطنه مخلوع السروال وعصا الضابط « تزغزغ » فرجه .

لن نطيل .. ..

وبدأت الضغوط لارغام هذه البقية الباقية على السفر وذلك طيلة ثلاث سنوات ونصف . ونجحت المؤامرة رغم محاولات (فردية) بذلت لوقفها حرصا على سمعة مصر وكرامة شعبها وحكومتها الوطنية .

بدأوا بالضغط على الزوجات فاذا قبلت السفر مع أولادها ... سوف يلحقها زوجها . ولكن كذلك فمن كان منتميا لبلد أجنبى (فرنسى ، ايطالى ...) تولت سفارته ترحيله . أما غير معينى الجنسية فقد صرفت لهم سفارة أسبانيا (وكانت انذاك متولية لشئون السفارة الامريكية بعد قطع علاقاتنا بالولايات المتحدة الامريكية) جواز سفر أسبانى لسفره واحدة ... ورفض ٩ فقط وصمدوا . ونجحوا فى البقاء .

١٩٧٦ :

— مازال بوزارة الداخلية قسم « اليهود » وملف « اليهود » وهو الآن يتولى « الشئون العربية الفلسطينية » ولكن بين هؤلاء واليهود وحدة مصير بوليسى .

— مازال اليهود مدرجين فى القوائم السوداء من ولد منهم بمصر رحل أو لم يرحل .

— مازال اليهود غير المعينين الجنسية محروما من تمتعه بالجنسية المصرية رغم أحقيته لها .

— ومازال المصرى اليهودى الديانة فى حاجة الى اذن للسفر قد يمنح أو لا يمنح حسب « التساهيل » وهو اذن لسفرة واحدة .

ومن الحوادث الاخيرة أن شابا يهوديا حصل على الثانوية العامة بمجموع يؤهله للدخول الى كلية الطب — فرفض عميدها قبول طلبه رغم أحقيته « لأن اليهودى ممنوع من أن يتجول بين مستشفيات مصر » .

هذا ولا حاجة الى ذكر تفرقة أخرى : منع اليهود من أداء الخدمة العسكرية .

خلاصة ما تقدم :

وكل الاحداث والاجراءات التى أوردنا ذكرها باقتضاب شديد تطوى مئات الآلاف من المآسى . وهذه الجراح صعبة ، وليست مستحيلة الالتئام . انها فى حاجة الى معالجة جادة وحازمة .

نص حـــــديث أجـــــرته معى

مجلة ((القبس)) الكويتيـــة

فى ٢٢ من أكتـــوبر ١٩٨٠

يهـــودى مصرى
يعـــارض كامت ديفيـــد
الحكومات العربية امدت اسرائيل
بـ ٦٠٪ من طاقتها البشرية

هو واحد من ١٥٠ يهوديا هم كل من بقى من اعضاء الجالية اليهودية فى مصر ، بعد أن اختاروا البقاء فيها ، على خلاف عشرات الالاف الاخرين من اليهود المصريين الذين ابعـــدوا عن البلاد او هجروها برغبتهم الى اسرائيل والدول الاوروبية ، ضمن موجات السفر الجماعية أو الفردية اليهود خاصة عامى ١٩٤٨ و ١٩٥٦ .

وهو يهودى يسارى ، يعمل بالمحاماة منذ أكثر من ٣٠ عاما ، ويستقبل عملاؤه فى مكتبه فى شارع محمد فريد بوسط القـــاهرة .. وفضلا عن ذلك فهو عضو فى حزب التجمـــع الوطنى التقدمى الوحدوى كما أنه « متهم » فى قضية الانضمام الى تنظيم شـــيوعى غير مشروع ، التى أعلنت السلطات المصرية قائمة الاتهام الخاصة بها فى الاسبوع الماضى .

والمحامى شحاتة هارون فى الستين من عمره حاليا .. عاصر

كل الحروب العربية ـ الاسرائيلية ، كما تابع كل مراحل التطور السياسى فى مصر قبل الثورة وبعدها .. وحتى الآن .

وشحاتة هارون يؤكد أنه يعارض اتفاقيات « كمب ديفيد » برغم أنه يهودى . ويقول أن سبب معارضته يرجع الى أن هذه الاتفاقيات ـ فى مفهومه ـ لن تحقق السلام .. لا للشعب المصرى ولا للشعب الاسرائيلى ولا للشعوب العربية .. ولا لمنطقة الشرق الأوسط برمتها . وفضلا عن ذلك فانه يرى أن هذا السلام يكرس المصالح الاميركية فى المنطقة . ويضيف أنه لو كان العرب قد قبلوا قرار التقسيم فى نوفمبر ١٩٤٧ ، لما وصل بهم الامر الى الاوضاع الراهنة ، ولما استطاعت اسرائيل أن تحقق أطماعها التوسعية بالقدر الذى حققته ، يؤكد أن الحكومات العربية هى التى أمدت اسرائيل بالجانب الاكبر من طاقتها البشرية بارغامها سكانها من اليهود على ترك بلادهم ، ويضيف أن محاولات بعض الحكومات العربية أخيرا لدعوة هؤلاء اليهود للعودة الى أوطانهم جاءت متأخرة ، ولم تحقق نتائج عملية .

سلام اميركى :

يقول شحاتة هارون فى بداية حديثه لـ « القبس » :

ـ اتفاقيات « كمب ديفيد » ليست فى رأى سوى « سلام أمريكى بشروط المؤسسة الصهيونية الحاكمة فى اسرائيل ، وبالتالى فانها ـ فى اعتقادى ـ ضد مصالح الشعبين الاسرائيلى والفلسطينى ، فضلا عن أنها لم تستجب للمطالب الوطنية العادلة للدول العربية المحتلة أراضيها وأعنى بها مصر وسوريا .

● ولماذا هى ضد مصالح الاسرائيليين .. ؟

ـ لانها لم تحقق لهم السلام ، فهى من ناحيــة قد زادت من العمليات الفدائية للمقاومة الفلسطينية داخل الاراضى المحتـلة فى الضفة الغربية وغزة . مازالت كذلك حالة الحرب قائمة بين اسرائيل وسوريا ، وبالتالى مازالت ميزانيـة الحـرب الاسرائيلية تحـرم الاسرائيلى من استثار هذه الاتفاقات لرفع مستواهم المعيشى .

ويستطرد المحامى شحاتة هارون فى تحليله اليسارى للاحداث قائـلا :

ـ اننا قبل أن نناقش الحل الامثـل للقضية ينبغى أن نحلل « طبقيا » لماذا حدث هذا « السلام » وفى هذا الوقت بالذات ، واذا عدنا الى أسباب حرب ١٩٤٨ وأسباب « سلام » سنة ١٩٧٨ **سنجد** أن نفس المصالح الانانية للاستعمار والفئات الاجتماعية المسيطرة على مقاليد الحكم هى التى دفعت الى الحـــرب عام ١٩٤٨ والى السلام عام ١٩٧٨ .

وشرحا لهذا الرأى ابادر فأقول اننى أتعـامل مع الاحداث كاشتراكى علمى ، أى على أساس أن حركة التطور حربا وسـلما تحكمها قوانين موضوعية فى مقدمتها صراع الطبقات باعتبـاره محـرك للتاريخ .

● بيجين نموذج للتعصب العنصرى العدوانى التوسعى .

وفى سنة ١٩٤٨ كانت الحركة الوطنية فى مصر قد اتخذت الى جانب المطـالب الوطنيـة مضمونا اجتماعيـا وتمثـل فى عدم الرضا لبقاء الاحتلال وعدم الرضا بالاوضاع الاقتصادية المتردية . هـددت الحـركة الوطنيـة بمضمونهـا السـياسى والاجتماعى مصالح المحتل البريطانى ومصالح الطبقـات المصرية

الحاكمة ، التى رأت أن حرب اسرائيل ستشغل الحركة الوطنيـــة المصرية عن المضى فى مساريها الاجتماعى والاقتصادى .

قرار التقسيم :

وفى اعتقادى أنه لو كان قرار التقسيم قد تحقق لكانت فلسطين صفوف اليسار المصرى فى ذلك الوقت بالموافقة علي قرار التقسيم فى عا م ١٩٤٧ باعتباره أقل الحلول سوءا وأقربها الى المبدئية من حيث أنه أقر بحق كل من سكان فلسطين العرب من ناحية واليهود من ناحية أخرى بحق تقرير المصـــــير .

وفى اعتقادى أنه لو كان قرار التقسيم قد تحقق لكانت فلسطين الصغرى هى أول أرض عربيـــة تتخلص من الاحتـــلال الاجنبى (البريطانى) فى ذلك الوقت .

وأستطرد اليهودى المصرى شحاتة هارون قائلا :

ـ هذا بالنسبة لحرب ١٩٤٨ ، أما بالنسبة لـ «سلام» ١٩٧٨ فان الولايات المتحدة لا تريد سلاما عادلا لكنها تريد هدوءا نسبيا يسمح لها باستنزاف ثروات العالم العربى وفى مقدمتها البترول .

وفى نفس الوقت فان القوى الاجتماعية فى مصر واسرائيل التى ايدت « سلام » كمب ديفيد هى أكثر القوى ارتباطا وتبعية بالمصالح والشركات الامريكية .

الاســـتعمار الامريكى :

● .. اذن ما هو الحل الذى يحقق الســـــلام فى رأيك ويتفق مع جنسيتك المصرية وديانتك اليهودية ؟

وأجاب شحاتة هارون بنفس منطقه اليسارى الذى يأتى كأولوية فى تفكيره عن كونه مصريا أو يهوديا فى اطار فكرة الاممية التى يؤمن بها :

ـ الحق هو مقابلة ذلك التحالف الرجعى الذى تهيمن عليه المصالح الامريكية بكفاح مشترك بين الجماهير العربية والاسرائيلية ضد « الاستعمار الامريكى » من أجل اقامة ديمقراطية اجتماعية وسياسية فى كل من البلدين وفى فلسطين .

وبالنسبة لفلسطين فاننى أصر على رفع الوصاية كلية عن شعب فلسطين ليقرر بنفسه مصيره ، ولما كانت منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى المعترف بها دوليا ، فلهذه المنظمة أن تختار ما تراه من وسائل لحل قضية شعبها .

● .. وهل يمكن ان تقبل اسرائيل بذلك ... ؟

ـ حين نتحدث عن أى شعب ، بما فى ذلك الاسرائيلى ، لا ننظر اليه ككتلة صلبة ، وانما علمتنى الاشتراكية العامية أن الشعب ـ أى شعب ـ ينقسم الى شعبين : المستغلين (بكسر الغين) والمستغلين (بفتح العين) ، وللاخيرين دائما مصلحة اكيدة فى السلام لأن السياسة الخارجية امتدادا للسياسة الداخلية . والشعب الاسرائيلى يريد السلام بغض انظر عن اتجاهات الطبقة الحاكمة .

وأذكر أننى أدليت بحديث الى جريدة « لوموند » فى ٢٤ نوفمبر ١٩٧٧ عقب مبادرة الرئيس السادات بزيارة القدس مباشرة قلت فيه : « اننا فى مصر لن نحصل على شىء من مناحيم بيغن » واعتقد

اننى كنت مصيبا فى ذلك ، فبيغن مثال على التعصب العنصرى بكل ما تحتويه العنصرية من عدوانية وتوسعية .

العرب دعموا اسرائيل بشريا :

● .. ألا تعتبر اسرائيل نوعا من الاستعمار الاستيطانى ؟

ـ الصهيونية نظرية عنصرية توسعية عدوانية المضمون . ولكن اذا كانت الجالية الاسرائيلية فى غالبيتها مازالت متأثرة بالفكر الصهيونى فهذا لا يعنى دوام هذا التأثير . فقد سبق مثلا لعمال وفلاحى ألمانيا أن تأثروا بالفكر النازى وشاركوا فى غزو الاتحاد السوفيتى وهو دولة العمال والفلاحين ، مما يقطع بأن العمال والفلاحين متحدو المصلحة موضوعيا على نطاق العالم ، حتى لو وقعوا لفترة ما تحت تأثير مناهض أيديولوجيا لهذا التفكير .

اننا لا ينبغى أن ننظر الى النزاع العربى ـ الاسرائيلى على أنه حرب بين قوميتين ، لكن ينبغى أن ننظر اليه من خلال الاعتبارات والانتماءات الطبقية .

ثم أنه ينبغى ألا نذهب بعيدا ونتغافل عن حقيقة أساسية وهى أن الحكومات العربية ـ ومنذ قيام اسرائيل ـ قد عمدت الى مدها بالطاقة البشرية عن طريق ارغام سكان دولها من اليهود على ترك أوطانهم . وبذلك أمدوا اسرائيل بستين فى المائة من طاقتها البشرية .

● .. ما رأيك فى اليسار الاسرائيلى ؟

ـ انه يناضل من أجل سلام عادل فى ظروف داخلية قاسية ، وعلى اليسار العربى أن يعاونه فى هذا المضمار .

وقلت للمحامى المصرى شحاتة هارون باعتباره واحدا من ١٥٠ يهوديا مازالوا يقيمون فى مصر دون أن يغادرها الى اسرائيـــل أو غيرها من البلاد :

● لماذا لم تغادر مصر منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن كما فعل الآلاف من اليهـــــود ؟

وأجاب بنفس منطقه اليسارى :

ـ لأننى أدركت أن الشعب المصرى المحروم وقتها من أبسط الحقوق لن يستطيع أن يدافع عن حقوق أقلياته ، ومن بينها الاقلية اليهودية ، لذلك كان على بدلا من السعى وراء ما أسموه بجنة اسرائيل أن أشارك الشعب المصرى نضاله من أجل نيل حقـــوقه ليستطيع من خلال تحقيقها أن يدافع عنى وعن أية أقلية أيا كانت .. عرقية أو دينية أو لونية .

نص حديث اجــرته معى مجلة « الوطن » الكويتيــة فى ٦ من فبراير ١٩٨٥ .

يهــودى لا يعتــذر عن يهوديته !

انه لا يعتذر عن يهوديته .. ولم يعتذر ؟!

شحاتة هارون اذا أردت أن تعرف به وجدت صفات كثــيرة يفخر بها كلها .. محام مصرى اشتراكى عامى وأحد الاعضـــــاء المؤسسين لحزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى .. يهــودى من أبوين مصريين وجدين جاءا الى مصر من حلب وجدتين من القاهرة والكل ينتسب لنفس الديانة ..

لكنه منذ زمن بعيد تعلم أن يكون يهوديا معاديا للصهيونية .. متى ؟ .. فى سنة ١٩٤٦ وفى احدى زنازين سجون مصر التى عرفها جميعا من سجن الاستئناف الى عيون موسى والقلعة ... وفى قضية لفقتها حكومة صدقى باشا .. ويتــذكر شحاتة هارون : « كانت ، اى الزنزانة ، تضم هنرى كورييل « أستاذى ومعلمى » كما ينعته وتمتلىء بوطنيين مثل نعمان عاشور وعبد الرحمن الشرقاوى .. » .

هناك أيقن أن مصيره كما أن مصير بنائه واحفاده الآن مرتبط بمصير شعب مصر .. وفى وقت مبكر استطاع أ نيحدد من عدوه : الاستعمار ... والرجعيـــــة بوجهها الصهيونى أو بأى وجه من وجوهها الالفة ..

نتفق معه اذن أو نختلف كواحد منـــا .. يهودى منـــا ..
لا منهم ! ..

يقول شحاتة هارون: ان من يرى اسرائيل الاداة ولا يرى العدو الام فقد عمى .. ويقول : من البداية وقضية الشرق الاوسط تنبعث منها رائحة قوية للبترول فمنذ وعد بلفور واتفاقية سايكس ــ بيكو حاولت انجلترا أن تحافظ على منابع البترول واحتكارها لهـــا ، وتأسيسا على سياسة فرق تسد قسمت ولاية الشام الى دول : سوريا التى قسمتها فرنسا على اساس دينى الى سوريا ولبنـــان واستقطعت انجلترا جزءا منها أسمته امارة الاردن : مملكة الاردن فيما بعد كمـــا اصدرت وعد بلفور الذى كان يهـــدف الى بذر بذور الانقسام بين العرب واليهود .. وحدثت ثورة أكتـــوبر ١٩١٧ فى روسيا فأضيف بعد هام بسبب المصالح الاستراتيجية الكبرى وقرب دول العالم العربى للدولة الاشتراكية الجديدة وامكانية اتخـــاذ الاراضى العربية منطلقا للهجوم عليها .. ثم سرعان ما ورثت لولايات المتحدة ذات القوة العاتية للسيطرة الكاملة تقريبا على مقدرات هذه المنطقة حماية لمصالحها الاقتصادية « البترول » وكذلك للاعتبـــارات الاستراتيجية التى أشرت اليها .. ويضيف شحاته هارون قائلا : يتعين فى رايى أن شـــعار اليـــوم يجب أن يـــكون الكفـــاح المشـــترك الشـــعوب قاطبـــة ضـــد العـــدو المشـــترك : الاستعمار الامريكى وأعوانه فى الداخل : الصهيونيـــة والرجعيـــة العربية ، وفى الخارج : فلول الاســـتعمار الاجنبى من فرنسى او انجليزى ..

الاستعمار يتخفى .. !

● اذن ما الطرح الصحيح للصراع العربى الاسرائيلى .. هل هو صراع بين ديانتين .. أم بين قوميتين .. أم ان القضية أساسا جزء من حركة التحرر الوطنى فى العالم ؟ يقول شحاته هارون :

من أسباب تعقد مشكلات الشرق الاوسط أنه يتنازعه أكثر من صراع طبقى : الصراع الطبقى بين الاستعمار وحركة التحرر الوطنى ، والصراع الطبقى بين دول المنطقة ذات المستوى الاجتماعى المتباين ، وثالثا : الصراع الطبقى داخل كل مجتمع من مجتمعات المنطقة ، ويعلوها جميعا ويؤثر فيها بعمق الصراع العالمى بين الاشتراكية والاستعمار العالمى وأمل وكفاح الشعوب من أجل التقدم والاشتراكية .. أما القول بأن الصراع دينى أو عرقى فهو الغشاء الذى ينميه الاستعمار ليغطى به حقيقة الصراع .. ذلك أننا لو اعتبرنا أن الصراعات فى المنطقة دينية أو عرقية فلا حل للصراع الا بازالة أحد العناصر من حيث الدين أو العرق وحتى أكون واضحا لا يمكن . افتراضا . أن يحل النزاع بقضاء اليهود على العرب مسلمين ومسيحيين أو بقضاء المسلمين والمسيحيين على اليهود فهذا أمر لا يتقبله العقل ولا الضمير الانسانى أو المواثيق الدولية ..

ويستطرد قائلا : ليس هناك تناقض الا أن يكون زائفا بين الكادحين والبسطاء المضحوك عليهم فمصلحة الجميع فى الواقع

واحدة كما أن مصلحة الرأسماليين أيا كانت هويتهم تتلاقى فى ظل وتحت مظلة الرأسمالية العالمية ، ويضيف : الذى يعوق فهم الجماهير لحقيقة الصراع هو التعتيم الاعلامى ودعاية الاستعمار وذوو المصالح المرتبطة به ، ولعل أوضح مثل لهذا هو ما جرى ويجرى فى لبنان منذ سنة ٧٥ على وجه الخصوص والذى يهدف الى تقسيم هذا البلد الى دويلات للطوائف الدينية .

● تنشين خطأ :

● وماذا ترتب أو يترتب على الطرح الخاطىء للقضية ؟

أجاب شحاته هارون قائلا : اخطر ما يترتب على الطرح المبنى على الدين أو العرق تحريف الجماهير عن تصويب نضالها الى أعدائها الحقيقيين .

● نزعة سلفية وارد اوروبا :

● ما رأيك فى دعوى اسرائيل بأنها تمثل يهود العالم .. وما صلة من تبقى من اليهود المصريين باسرائيل .. لمن ولاؤهم ؟ .

ـ يتعين علينا أن نشير الى أن الصهيونية بتياراتها ولدت فى أوروبا ، وصدرت الى الشرق الاوسط بواسطة الاستعمار ، وهى تمثل نزعة برجوازية صغيرة سلفية ، تماما كأى نزعة تستخدم الدين أو العرق وبسهولة تسقط وتتحول لسلاح فى يد الاستعمار .

ورأى أن اليهود أو أى أقلية دينية أو عرقية لابد أن تشارك بقية المواطنين فى هذا البلد أو ذاك من أجل تحقيق الديمقراطية والتحرر حتى يمكن أن يصون الشعب – وسيصون حتما – طالما حقق بالديموقراطية والحرية حقوق أقليته ، هذا أمر فى اعتقادى لا يحتاج الى شرح ، فالشعوب المظلومة تستخدم لتحريف سخطها ولمنع تحقيق حقوقها أساليب شتى منها توجيه هذا السخط نحو كبش الفداء : الاقليات. ويتعين دائما التفريق بين شعب الدولة وحكام الدولة ، وقد يكون الشعب غير واع بحقيقة الطريق وتضلل وعيه نظريات رجعية سلفية وهو ما يحدث فى اسرائيل .

يستطرد شحاتة هارون « أن ضحايا كثيرين للصراع المفتعل بين اليهود كيهود والعرب منها تلك الاجراءات والتدابير العدوانية ضد الشعب الفلسطينى .. وكذلك تلك الاجراءات التى اتخذتها الحكومات العربية ضد يهودها مما حمل هؤلاء على الهجرة الى اسرائيل كما يتضح من القرارات السرية لجامعة الدول العربية فى أوائل الخمسينات .. بالاضافة الى ما هو معروف وهو الدعاية المكثفة التى كانت تبث بين يهود البلدان العربية من قبل المنظمات الصهيونية وكذلك الاعمال الارهابية المباشرة وغير المباشرة التى قامت بها هذه المنظمات .. وكم من مرة همسوا فى أذنى أنه يتعين على ان أهاجر من مصر لأن عبد الناصر ينوى طرد اليهود جميعا فكانت اجابتى أنى مصرى فاذا وضعت عنوة على طائرة :لا حيلة لى .. وأنا أحدثك الآن فى القاهرة .

● الصراط السليم :

ويقول شحاتة هارون ايضا : **ان الخلاص من افكار الصهيونية فى اسرائيل هو واجب نضال التقدميين** هناك ، كما ان واجب النضال ضد كافة النظريات الرجعية فى كافة الدول العربيـــة هو من واجب التقدميين فيها .

وفى ذات الوقت ينبغى محاربة العسكرية الاسرائيلية تماما كمـــا فعل شعب فيتنام حين كان يتوجه الى الشعب الامريكى لحثه على ايقاف الحرب ، ويحارب فى ذات الوقت العسكرية لاميركية ، وكان هذا ـــ الى جانب الكفاح المسلح ـــ الامر الذى مكنه من النصر . .

ثم يقول : الذى أعرفه أن عدد اليهـــود فى مصر والذى كان يجاوز المائة ألف فى الثلاثينات لم يبق منهم سوى ما لا يزيد على « ١٨٠ » فردا ، والذين هاجروا لم يهاجر منهم الى اسرائيل الا ما بين ٢٠ و ٢٥ ٪ والباقى ذهبوا الى أوربا واميركا .

ويضيف شحاتة هارون قائلا : أنا شخصيا عملت بما اعتقد . شاركت ومازلت أشارك الشعب الذى أنتمى اليه ، ، شعب مصر ، فى نضاله من أجل تحرير ، وأرى بكل تواضـــع أننى سلكت الصراط المستقيم اسوة ببقية اليهود فى مختلف الدول الذين يسيرون على ذات الطـــــريق .

● فى مواجهة حلف الرجعيـــات

● ما رأيك فى العلاقات المصرية الاسرائيلية الآن . . وما الذى تتوقعه لمستقبل هذه العلاقات ؟

أجاب شحاتة هارون :

ـ العلاقات المصرية الاسرائيلية تتصل اتصالا مباشرا بالعلاقات المصرية الاميركية ، ومدى النفوذ الاميركى على مقدرات مصر . وان كان هذا لا يمنع بالطبع أن تتخذ مصر سياسة رفض متواضعة تجاه سياسات حكومة اسرائيل فيما يتعلق بلبنان والقضية الفلسطينية والاراضى المصرية التى مازالت تحتلها اسرائيل ...

وهى مواقف يدفع اليها الرأى العام المصرى ، وأضاف : لعلك تعلم **أنى ممن وافقوا ومازالوا على قرار التقسيم سنة ٤٧** ومازلت أرفض الذهاب الى اسرائيل طالما لم يتحقق تنفيذ الجزء الآخر من التقسيم اى اقامة الدولة الفلسطينية .. **وأرى أن مستقبل العلاقات متوقف من ناحية على موازين القوى على الصعيد العالمى ، وعلى موازين القوى داخل اسرائيل ، وداخل مصر وغيرها من الدول العربية اى أن تقوم هناك فى اسرائيل وهنا حكومات ديمقراطية متحررة من العنصرية وشعبية بكل ما تعنيه كلمة الشعبية .. ويقع العبء الاكبر فى تحقيق هذا على مدى قوة التنظيمات الشعبية الديمقراطية فى كل بلدان المنطقة وخاصة فى اسرائيل غير صهيونية ومصر ، وهذا نضال قد يطول أو يقصر تبعاً لجدية وقوة نضال هذه التنظيمات الديمقراطية وتضامنها لتحقيق هذا السلم الحقيقى : سلم الشعوب فى مواجهة حلف الرجعيات .**

● وكيف تخرج مصر من مأزق كامب ديفيد ؟

قال شحاتة هارون : ان كامب ديفيد قد طرح كجانبا الآن من

الولايات المتحدة ذاتها فقد أدى لها دوره ، وحل محله الاتفاق الاستراتيجى مع حكومة اسرائيل بقيادة مؤسستها العسكرية الصهيونية ، برفض اسرائيل للشق الثانى من هذه الاتفاقية أى حق تقرير المصير للفلسطينيين ..

أما بالنسبة لمعاهدة الصلح المصرية الاسرائيلية فهى صلح اميركى بشروط بيغن .. وهو ليس صلحا بل حربا كرستها هدية اميركا لحكومتى اسرائيل ومصر : أسلحة بآلاف الملايين من الدولارات عند عقد الصلح ومن بعده حتى الآن لتستخدم اسرائيل هذه الاسلحة فى لبنان وضد المقاومة الشعبية فى دول اميركا اللاتينية .. ولاحتمال استخدام مصر فى قمع مقاومة الشعوب لحكوماتها الديكتاتورية كما يحدث بالنسبة للسودان والصومال وزائير .. وتسألنى : هل هناك من مخرج ؟ .. كيف يمكن فى الظروف الراهنة التى تعيش فيها مصر وشعب مصر أن يكون هناك مخرج مع الشبكة الواسعة من القوانين المقيدة للحرية وتزوير الانتخابات .. كيف يمكن تحت هذه المظلة أن يستطيع المعادون لكامب ديفيد أن يقوموا بتوعية الشعب بالمخاطر .. الم نسمع عن القانون الاخير الذى حرم حتى حرق العلم ، والذى صدر أثر حرق العلم الاسرائلى فى نقابة المحامين .. حتى هذا التعبير الضيق المحدود فى أثره لم تقبل حكومتنا به . ولكنى أعود فأقول ان المخرج كما هو دائما الشعب ومدى وعيه وتنظيمه .

● **من الذى قلب ؟ !**

● الحكم الحالى فى مصر الى من ينحاز ؟ .. وهل حدثت تغيرات حقيقية وليست هامشية لتوجيهات الرئاسة الحالية ؟ ..

ــ ان ما أسمى ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ٧١ كان ايذانا بقلب

نظام الحكم واسسه الاقتصادية والاجتماعية فالدستور الصادر قبلها فى نفس العام ينص فى مادته الرابعة على أن الاساس الاقتصادى لجمهورية مصر العربية هو النظام الاشتراكى ، كما نص فى مادته الثامنة على تكافؤ الفرص لجميع المواطنين ، وفى المادة ٢٣ « ينظم الاقتصاد القومى وفقا لخطة تنمية شاملة تكفل زيادة الدخل القومى وعدالة التوزيع ورفع مستوى المعيشة » أما المادة ٢٤ فهى « يسيطر الشعب على كل أدوات الانتاج » .

فهل اسس مجتمعنا اليوم هى ذات الاسس التى نص عليها الدستور . . الاجابة بالنفى القاطع ، لقد اسس نظام الحكم وذلك منذ طبقت وزارة ممدوح سالم برنامجها الانفتاحى ومن الممكن ان يتخذ هذا أساسا لتقديم هذه الحكومة وما جاء بعدها من حكومات للمحاكمة وخاصة على ضوء النصوص المادة ٩٨ .

ويستطرد شحاته هارون قائلا : لقد أصبحنا فى بلد ينطبق عليه ما كان يقوله السادات عن اسرائيل من انها تعيش على أمريكا من لقمة العيش الى الابرة . . . « ٧٠٪ » من خبزنا حاليا يستورد من أمريكا وسلاحنا وارد من عندها . . لقد أصبحت مصر شبه مستعمرة أمريكية تماما كاسرائيل ، ويذكرنى هذا بقول

شبه مستعمرة امريكية تماما ، ويذكرنى هذا بقول
القائل : ان معاهدة الصلح قامت بين اميركا السيد وتابعيه مصر واسرائيل كل يتنافس على ارضائه مقابل حسناته « صدقاته » . . فكيف يمكن أن تخرج مصر من ازماتها الحادة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . . هل تستطيع وقد غلت يداها برضا السادات لحساب اميركا واسرائيل وصندوق النقد الدولى

.. و .. ودون أن يتاح للشعب أن يجوع برضاه فى سبيل اعمال نصوص الدستور .

باختصـــار : لابد من تصفية تركة الســـادات تصفية تامة وحاســـمة .

● بيـــد الشـــعب :

وفى الختام سألت شحاته هارون المحامى على طريقة المحققين والمحـــامين .

● هل لديك أقوال اخرى ؟ !

قال : لا أنسى أن أقول بأنى شغوف بالسلام ، وأنا عضـــو بمجلس السلام العالمى ، وأتوق واعمل من أجل السلام العادل فى المنطقة .. سلام بين شعوب لا سلام بين حكومات رجعية تهدف اول ما تهدف الى خدمة سيدها الاميركى لتأييد سيطرتها وسيطرته على مقدرات الشعوب .. ولا يفوتنى أن اذكر أن عبد الناصر فى خطابه للعمال فى اول مايو سنة ٧٠ قد تنبه ونبه مستمعيه الى أن هناك فى اسرائيل قطاعات ترفض السياسة الصهيونية ، وتتوق الى السلام مما كان يوحى بضرورة الانتماء اليها والعمل معها .

● ... و ... اقفل المحضر ! .

نص مقال نشر فى جريدة الاهرام
فى ٥ ديسمبر ١٩٨٥ بمناسبة شروع
الحكومة العنصرية الاسرائيليـــة فى
سن قوانين بمعاقبة اى اسرائيلى، ايا
كان انتماءه الدينى ، بالسجن اذا اثبت
اتصاله بمنظمة التحرير الفلسطينية .

(وقد صـــدر القانون واعمـل به)

تلقيت هذا المقال من الاستاذ شحاتة هارون المحامى وهو مناضل فى الحركة الوطنية المصرية ضد الاستعمار والصهيونية منذ الاربعينات .

ويعرض هذا المقال لوجهة نظر الكاتب حول مشروع القانون الاسرائيلى لتجريم كل اتصـــال مع منظمة التحرير الفلسطينية وهى وجهة نظـــر تنطلق من مفهومه لامكانية الوصول الى ما يسميه اقرار ســـلام عادل مبنى على الاعتراف بحق كل شعب على العيش فى وطنه .

وكنت لا اود ان اشير الى ان المواطن المصرى العربى شحاتة هارون يهودى الديانة ، فالدين لله والوطن للجميع ، ولكن اعتقد ان تسجيل هذا البعد هام فى قراءة وتقييم المقال فى هذه الظروف

لطفى الخولى

كفــــا منظمــة التحــرير الفلسطينية

ما من شك أن الكفاح المجيد والمثابر والدامى للجمـــــاهير العربية داخل الاراضى المحتلة وفى اسرئيل ذاتها قد ساعد على أن تعى أجزاء ، تزداد اتســـاعا ، من الاسرائيليين ضرورة الاعتراف بالحقوق الوطنية المشروعة لشعب فلسطين بما فى ذلك الاعتراف بحقهم فى دولتهم المستقلة تماما كما حدث من قبل فى الجزائر وفيتنام حيث كفاح شعبهما (سلاحا وسياسة) قد ســاعد على ادراك الجماهير فى فرنسا والولايات المتحدة الامريكية على تبنى قضية السلام والتحرير .

وأمام اللقاءات العديدة التى تجــرى من ناحية بين مختلف المنظمات الاسرائيلية الداعية الى السلام ، والى الاعتراف بحقوق الفلسطينيين ومن ناحية أخرى ممثلى منظمة لتحــرر الفلسطينية اشتدت مخاوف المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل الى حد أنها اقترحت سن قانون يجرم اتصال أى اسرائيلى بالمنظمة أيا كان انتمــاؤه (يهودى ، مسلم ، مسيحى) وسوف يقره ، الكنيست (البرلمان) الاسرائيلى فى الاسبوع القادم ويقضى هذا القانون بفرض عقوبة السجن ثلاث سنوات .

ان صدور هذا القانون يهدف الى محاصرة النضال من أجل اقرار سلام عادل مبنى على الاعتراف بحق كل شعب على العيش فى وطنـــه .

ان المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل تتجاهل — عن عمـــد — التاريخ وحركته ذلك أنها نسيت ان المؤتمـر الصهيونى فى ١٩١٧ (الذى حصل على وعد بلفور) وحتى اسرائيل اليوم لم يكونا ابدا ممثلين ليهود العالم بل تمثل أقلية منهم .

هذا بينما منظمة التحرير الفلسطينية انما تمثـل جميـــع الفلسطينيين باعتراف يكاد تجمع عليه جميع الدول وتقره المحـــافل الدولية وفى مقدمتها هيئة الامم المتحدة . وهذا ما تدركه أيضـــا الجماهير الاسرائيلية ومن باب أولى تخشاه المؤسسة الحاكمـــة فى اسرائيـــل .

ان استناد المؤسسة الحاكمة الى الاستعمار قد باء دائمـــا بالفشل ذلك أن التاريخ قد حكم على الاستعمار بالزوال ان عاجلا أو آجلا فقد سعت وراء الاستعمار الالمانى وهزم فى فى الحـــرب العالمية الاولى واستندت الى الاستعمار البريطانى فقضى عليـــه التاريخ بعد الحرب العالميـــة الثانية ، وهى تستند اليـــوم الى الاستعمار الامريكى الذى هزمه شعب فيتنام وشعب لبنان ولم ينتصر الا فى معركة جرانادا وهى الجزيرة التى يقطنهـــا ١٠٠,٠٠٠ نسمة فاستخدمت ١٥,٠٠٠ من قوات الانتشار السريع اى بواقع ١٥ جنديا ضد كل ١٠٠٠ من السكان الآمنين .

وأن الشعوب ، أيا كانت الافكار التى تضللها . صهيونيةاو

فاشية ... سوف تعى وستعى وجهة الحق . والشعب الاسرائيلى ليس استثناء أو شعبا مختارا ستعميه الى الابد الصهيونية العنصرية التوسعية ، والتناقضات الموضوعية التى تتحكم فى مصير الشعوب (وفى مقدمتها الصراع الطبقى) كامنة فى اسرائيل كما هى كامنة فى كل بلدان العالم .

ان الشعوب تواقة بالاصالة الى السلام — والشعب الاسرائيلى سيقاوم حتما سياسة الحرب التى يسلكها حكامه وسيقاوم بالحتم مثل هذا القانون الجائر المزمع سنه .

ملحوظة : صدر فعلا وطبق

دراســـة عنـــوانها

« خواطـــر حول الشرق الأوسط »

خواطـــر حول الشرق الاوســـط

الجـــــزء الأول

منهـــــج البحث

اولا : مقـــــــدمة :

السياسية ، كما كتب [illegible] هى التوجه الجوهرى للدولة وتحديد اشكاله ومهامه ومضمون نشاطه وهى عناصر تخضـــع جميعها للنظام الاقتصادى ــ السياسى القائم فى كل بلد .

والسياسة أيضا علم وفن ، الامر الذى تحتم معــه ضرورة الاخذ فى الحسبان للعوامل الموضوعية والذاتية معا على السواء . وتتطلب صياغة السياسة وتسييرها الاســـتناد الى القوانين الموضوعية للتطور الاجتماعى .

والسياسة باعتبارها علم من العـــلوم تســـتلزم ، أول ما تستلزم ، الاسترشاد بخبرة البلدان الأخرى وأخذ هذه الخبرة فى

الاعتبار وهى تستلزم فى المقام الثانى ان يحسب حســاب كافة القوى اى المجموعات والاحزاب والطبقات والجماهير المتفــاعلة داخل كل بلد بدلا من تحديد مسار السياسة على مجرد رغبــات وآراء ودرجة وعى واستعداد مجموعة واحدة او حــزب واحــد للنضيــبال .

ويجب ايضا على السياسة ذات الاسس العلمية أن تحسب بدقة وباكثر موضــــوعية ممكنة علاقات القوي الاجتماعيـــــة الاقتصاد والخواص الملموســة فى **كل لحظة تاريخية معينة .**

ويتعين عند الدراسة العلمية لمجرى عمليات الحياة السياسية وظواهرها اتباع اضمن الاساليب التى لابد منها للوصـــول الى الاعتياد على فحص كل مشكلة فحصــا سليما بعيــدا عن التيه فى التفاصيل او فى التباين البــالغ لمختلف الاراء المخالفة . **ومن أهم الشروط لدراسة العامة للسياسة الا ننسى التسلسل التــاريخى الاساسى وان ننظر الى كل مشكلة من وجهة النظــر التاليــة :**

١ ــ كيف نشات هذه الظاهرة فى التاريخ .

٢ ــ ما هي المراحل الاساسية لتطورها .

٣ ــ كيف نواجه من زاوية هذا التطور وما آلت اليــه هذه الظــــاهرة اليــوم .

ولقد قيل ايضــا أن الحقيقة نسبية والواقع عنيد .

من هذا المنطلق ساورتنى وتساورنى خواطر اســـعى من ورائهـــا بلوغ الحقيقة النسبية ــ حقيقتى انا على الاقل ــ عبر

واقع ارجو ان اكون قد لمسته لمسا سليما .

ثانيا : الخـــواطر :

١ ــ اسرائيل ــ سواء رفضنا ذلك **او** قبلنــــاه ــ **واقع ارتضته الشرعية الدولية** . هذا بينما المرفوض على **الاطلاق هو** اسرائيل **العنصرية ، العدوانية والتوسعية** .

٢ ــ ن **الدولة** الفلسطينية لن تقوم لها قائمة الا اذا رضى بها **الاسرائيليون قسرا او طواعية** .

٣ ــ ان القسر (الكفاح المسلح فى الضفة الغربية وغزة **ومن** داخل اسرائيل) هو **الواجب المقدس الملقى فى المقــام الاول على** عاتق الفلسطينيين على ان يكون مقرونا بالكفـــاح السياسى أى بتوسيع رقعة الديموقراطية والتقدميين من الاسرائيليين القــابلين بانشاء دولة فلسطينية وبجلاء اسرائيل عن الاراضى التى احتلتها اثر حرب ١٩٦٧ وما بعدها بحيث تغير هذه الجبهة الاسرائيلية من الديموقراطيين والتقدميين من النهج التوسعى العدوانى والعنصرى الــذى تنتجه المؤسســة الاسرائيلية وحكوماتهـــا المتتالية . اى ان **تلب الموازين داخل اسرائيل لصالح قوى السلام** .

٤ ــ ان هذا التلازم والتزامن بين الكفاح المسلح والكفاح السياسى (بمعاونة قوى الديموقراطية والتقدم فى الدول العربية والعالم) قد يطول او يقصر امده تبعا لتغير موازين القوى داخل الدول العربية واسرائيل ، وكذا على الصعيد العالمى .

٥ ــ ان هذا التغيير لا ياتى من فــراغ وانمـــا يستند الى

مقومات موجودة تحتاج الى التعميق والى المزيد من **الرؤية الواقعية للظروف الذاتية والموضوعية** داخل الاطراف الثلاثة معا : اسرائيل، **الدول العربيـــة والعالم** . ذلك أن قوى الســـــلام والتقـــدم ــ وبالرغم من تصعيد الهجمة الشرسة لقوى الحرب والرجعية ــ تحقق يوما بعد يوم انتصارات من حيث قدرتها على التنظيم ومن حيث اتساعها . ممثل هذا مئات الآلاف المشتركين فى مظـــاهرات ضد الحرب (على الصعيد العالمى) والمظاهرات التى قامت فى اسرائيل ذاتها ضد حرب لبنان واحتجاجا على مجازر صبرا وشاتيلا وأن لم تتدرج بعد الى مستوى قبو ل دولة فلسطينية والجلاء عن الاراضى المحتلة أو سوف تحتل كالضفة الغربية .

٦ ــ ان المحظور وهو ابتكار وتجاهل ان كل شعب وكل امة تنقسم أول ما تنقسم اليه الى مستغلين (بفتح الغين) **ومســـتغلين** (بكسر الغين) .

وهذا التقسيم ــ وما ترتب عليه من صراع ــ **هو بـــداية** تاريخ البشرية ، وقبل ومن بعـــد أن تتكون الامم وذلك **وفقـــــا** للقوانين الموضوعية التى تحكم تطور المجتمعات وأهمهـــــا : **ان صراع الطبقات** ــ الى جانب صراع الاديان وصراع **القوميات ــ هو محـــرك التـــاريخ** .

٧ ــ ان هنـــاك اجمـــاع عـــلى أن منظمة تحـــــرير فلسطين هى الممثل الشرعى الوحيد عن شعب فلســـطين **وان ما** تتخذه من قرار فى سبيل حل قضيتها الوطنية . **قـــرار يلتزم به** الجميع ويتعين أن نرفض بشدة اية مزايدة على قرارات المنظمـــة

ثالثا : الواقـــع :

١ ـ إن الدماء التي سالت ومازالت ، في الشرق الأوســـط (سـواء في الصراع العــــربي ـ الاسرائيـــلي أو الصراع العـــربي ـ العـــربي او الصراع العـــراقي ـ الايراني) . (١) تفوح منهـــا رائحة البـــترول (٢) ولقد سالت فيمـــا مضى حماية للطريق الى المستعمرات البريطانية في آســـيا إبان الوجود البريطاني ومازالت لحماية طرق وصول البترول الى منتفعيه منـــذ أن حلت أمريكا محل بريطانيا في المنطقة (٣) انها تسيل منذ نشأة الإتحاد السوفيتي « لحماية » شعو بـمنطقة الشرق الأوسط (المتخامة للاتحاد السوفيتي) من خطر « الشيوعية » أي كحـــائل دون تأثرها بالأفكار الاشتراكية .

٢ ـ **ان وعد بلفور** لم تصدره بريطانيا العظمى رعاية وحبـــا لليهود أو ميلا للصهيونية **وانما هو صك سياسي يخدم اول ما يخدم مصالح الامبراطورية البريطانية بزرع جسم غريب في المنطقة تنحرف نحوه وتتركز حوله تطلعات الشعوب المناضلة من اجل التحــــرر من الاستعمار ومن الاستغلال الداخلي .**

وقد **نما هذا الجسم نموه الذاتي** (بمعاونة المستعمرين) حتى أصبح **دولة اسرائيل** .

٣ ـ انه قد عاصر صدور وعد بلفور اقتطاع الاردن من ولاية سوريا العثمانية واقيمت دولة الاردن التي نمت أيضا نموها الذاتي حتى أصبح هناك الاردنيون والفلســـطينيون كل يعتز بهويته . وفعلت فرنسا بالمثل في ولاية سوريا العثمانية وقسمتها ـ **على أساس الدين** ـ الى لبنان وسوريا ونمت كل من الدولتين نموها الذاتي حتى أصبح هناك اللبنـــاني والســـوري وكل يعتز بهويته .

وإصبحت الطبقات الحاكمة في كل منها تتمايز مصالحها عن مصالح الطبقة المقابلة في الدولة الأخرى .

وناهيك عن السعودية وامارات الخليج حيث لن يرضى حكامها — من ملاك البترول الواقعيين — الا ان تتولى شعوبها التصرف في ثرواتها ولن ترضى من باب أولى أن تتقاسم ما تعتبره ملكا لهما مع الدول العربية الاخرى اللهم الا في حدود منحهـا فتات من الفوائد درءا للخطر الذى قد يهددها هي (أى الطبقات الحاكمة) .

٤ — هذه هي سياسة الاستعمار : فرق تسد ، وقد ساد ومازال يؤجج النزعات القومية ويشغل الشعوب بالنعرة الوطنية الضيقة مفيبا عنها ان عدو السورى ليس اللبنانى وعدو الاردنى ليس بالسورى أو الفلسطينى وان عدو العربى ليس اليهودى المتمثل في اسرائيل وانما هو السيد المسيطر على مصائرها : الإستعمار .

٥ — ان قرار التقسيم في ١٩٧٤ رفضته انجلترا (سيدة المنطقة آنذاك) ورفضته الحكومات الرجعية العربية وكانت كلها تدين بالولاء لانجلترا .

ان هذا الرفض للتقسيم — الذى وافقت عليه الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة باعتباره أقل الحلول سوءا — قد لازم حركة المد الثورى لشعوب المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية واقتران شعاراتها الوطنية بالمضمون الاجتماعى فاحست انجلترا بالخطر يهددها واحست الطبقات الحاكمة بالخطر الاجتماعى الذى يتهددها فتضامنا معا (الاستعمار والرجعية العربية) لحرف

التوجه السليم للشعوب نحو هدف ثانوى (اسرائيل) قبل أن تنجز هدفها الاساسى وهو التحرر من التبعية السياسية والاقتصـــادية للعدو الخارجى والداخلى .

ومن نتائج رفض قرار التقسيم الذى أصدرته الامم المتحدة فى ١٩٤٧ :

— أن رسخ من الوجود الاســـتعمارى فى المنطقة بإبدال استعماره القديم (انجلترا) باستعمار جديد مساعد وأكثر شراسة (أمريكا) .

— ورسخ من سيطرة الحكم الصهيونى فى اسرائيل وتضليله لجماهيرها التى اصبحت تحكم بأبشع التيارات الصهيونية عنصرية وعدوانية وتوسعية .

— ورسخ الانظمة الرجعية العربية وسطوتها على شعوبها .

— ورسخ من أسباب النزاع العربى — العربى (الى جانب الصراع العربى الاسرائيلى) بين نظم تتفاوت أوضاعها الاقتصادية — الاجتماعية .

— شهدت المنطقة ٥ حروب ومجازر داخلية أودت بحياة مئات الآلاف من سكان المنطقة واستنفذت ثرواتها فى شراء الاسلحة بدلا من التنمية التى هى فى أمس الحاجة اليها .

— واهم ما نتج عن رفض التقسيم ان تضافرت جهـــود الصهيونية والانظمة العربية على محـــاولة لمولد الهوية الفلسطينية والدولة الفلسطينية .

٦ — أن الحكومات العربيـــة قدمت ، عن وعي ، العـون للمؤســـة الصهيونية في اسرائيل لتنفيذ مخططها واتخــذت من التدابير للتخلص من مواطنيها — او المقيمين فيها — من اليهود فامدت اسرائيل بما يقرب من أو يزيد عن ٦٠٪ عتادها البشرى (وتراجع هذه التدابير في القرارات العربية التى اتخذتها ونفذتها الجامعة العربية في بداية الخمسينات) . وبات الفلسطينيون ويهود الدول العربية هم الضحايا — على مستويات مختلفة — على يد الصهيونيـــة والرجعية العربية .

٧ — أن بعض الطلائع التقدمية فقدت القدرة على التحليـل الاجتماعى السليم وفقدت القدرة على التحليـــل السليم العلمى لطبيعة المعركة الدائرة بالمنطقة كتحديد من هو العدو الرئيسى لهـا لتوجيـــه الضربة الاســـاسية اليـــه ومن هو الخطـــــر المبــاشر الذى لا قائمـة له دون مســاندة العدو الرئيسى له . ولنه لو هزم العدو الرئيسى هان القضاء على العدو المباشر .

٨ — ان الخطـــــر المبــــاشر هو : الصهيونيـــة — والرجعية العربية وهما معا فكرا وممارسة والمعـركة ضدهمـــا تمارسها جماهير كل دولة من داخل دولتها .

٩ — أن هناك تلازم وتزامن بين المعركة ضـــد الاســـتعمار والمعركة ضد الصهيونية والرجعية العربية فلن تستطيع شعوب المنطقة خوض المعركة ضد الاستعمار دون أن تقوم في ذات الوقت بمعركتها الداخلية .

١٠ — ان هذه المعركة ، معركة ايضا من أجل الســـلام وهو بالقطع ليس بالسلام الذى يعقـــده ويفرضـــه الاســـياد وانما السلام العادل والدائم الذى ترضى به الشعوب للواعيـــة

بمصالحها وهو السلام الذى يعترف للشعوب المقهورة باستخدام السلاح للحصول على حقها المقدس فى الحرية والاستقلال

إن هذا السلام هو الشرط الاساسى والضمان الذى لابد منه لكى تستطيع من خلاله أن تمسك بمصائرها وثروتها فى يدها متحررة من الاستغلال الخارجى والداخلى معا

١١ — من هنا وفى مصر فان ضرورة مواصلة مقاطعة التطبيع من اسرائيل فى كافة المجالات يتعين **الا تحول دون مد اليد للاسرائيليين من الديموقراطيين والتقدميون وانصار السلام فيها الذين يعلنون صراحة وبلا قيد او شرط (اولا) اعترافهم بحق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم بما فى ذلك اقامة دولتهم الفلسطينية المستقلة (ثانيا) بالجلاء الفورى عن جميع الاراضى المحتلة**

١٢ — علينا أن ندرك أن الاسرائيليين الذين نوهنا اليهم اعلاه **امر واقع** فى اسرائيل **وانهم معارضون** للمؤسسة العسكرية الصهيونية **واعداء لها** مما دفعها الى سن قوانين بسجنهم لاتصالهم بمنظمة التحرير الفلسطينية . ذلك أن **حكام اسرائيل اخشى ما يخشونه قيام سلام عادل فى المنطقة .**

١٣ — **لا معقولية المطلق** : أن الاخذ بمبدأ عدم التطبيع بشكل مطلق **(اى بما يستتبع حتى رفض الجوار** مع الديموقراطيين والتقدميين وانصار السلام فى اسرائيل يتناسى :

أ — أن اسرائيل أسوة بأية دولة من دول العالم فيها **طبقات تتناقض** مصالحها (وليس أدل على هذا من اضرابات العمال والموظفين فيها) **بل وتتنازعها ايديولوجيات** نتيجة للجذور التاريخية المتباينة لسكانها من اليهود .

ب ــ ابان قام النظام النازي في المانيا إستطاع **النــازيون أن يضللوا الطبقة العاملة** مقام العمال والفلاحين بالانخراط فى الجيوش الفاشية التى هاجمت الاتحاد السوفيتى(**أول دولة للعمال والفلاحين فى العالم**) والحقوا به خسائر لا توصف فى الارواح وخرائب لا توصف فى مدنه ومصانعه . الامر الذى يؤكد ان **فقــــد الوعى الطبقى كان السبب** . فما علينا الا أن نساعد عمال وفلاحي اليهود فى اسـرائيــل من استعادة هذا الوعى عبر التقدميين والديموقراطيين فيها .

جـ ــ **ولن يفلح** هذا التيار السلامى الاسرائيلى المناهض لعدوانية وعنصرية المؤسسة الحاكمة فيها ــ **عــلى تغيير موازين القــوى بداخلها الا بعون أمثالهم فى الدول العربية وتضامن جهودهما .**

د ــ هــل ينــوى المنــادون **بالمطلق** ، اى بتحــرير **ارض** فلسطين **بالكملها ، المزايدة على الممثل الشرعى والوحيــد** للفلسـطينيين (منظمة تحرير فلسطين) ؟ وهل ينوون بموقفهم هذا **تابيد حيــاة اللاجئين على ما يصيبهم يوميا من قتل وجوع وتشريد ، أن العقــل البشرى يرفض هذا الموقف ويبحث عن حلول ليحـــيا الانســان (والفلسطينى انسان بعد) حياة كريمة .**

١٤ ــ ان هذا هو السبيل الذى سلكته الجزائر وفيتنــام وكانت شعوبها تقاوم بالسلاح العسكرية الفرنسية والامريكيــة وتعمل على بسبب الجماهير فى كل من فرنسا والولايات المتحــدة لقضيتها العادلة .

الجــــزء الثــــانى

حــرب ام ســلام ؟ اى حــرب واى ســلام ؟

مقـــــــدمة :

قامت اسرائيل بغارتها الاثمة المجرمة علي مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس ولم تكن هذه الفعلة النكراء أول ولا هى آخر ما قامت وتقوم به المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل الى ان يستطيع المجتمع الدولى وضع حد لهذا **او ان يحدث تغييرا فى موازين القوى داخل اسرائيل ذاتها بكفاح المناضلين من اجل السلام والديمقراطية واحترام حقوق العرب فى هذه الدولة شريطة ان يكون هذا الكفــاح مدعوما بكفاح قوى السلام والديموقراطية فى الدول العربية .**

هذا واقع لا فرار منـــه .

اما أن تنتابنا بعد كل صفعة دامية نتلقاها من اسرائيل حالة من الهياج لدى بعض الدوائر المحدودة . وأن يقوم جندى هنا أو هنـــاك بقتل بعض اليهود كما حدث فى تونس (وفى مصر) فلن يحل هذا اية مشكلة . بل سرعان ما تنطفىء الهوجة الى ان تاتى الصفعة الدامية التاليــــة .

وعلينا **اذا اردنا حلا** ان نعود **الى جذور المشكلة** : وهو ما سعينا الى محاولة تفهمه وايجاد الحلول له .

والسؤال المطروح فى هذا البحث هو هل هياجنا هذا قد يؤدى باسرائيل الى أنها :

١ ــ ستفقد طبيعتها التوسعية العدوانية ؟

٢ ــ ستكف عن أن تكون أداة الاستعمار الامريكى فى كبح جماح حركة التحرر الوطنى فى منطقة الشرق الاوسط ؟

ان الاجابة على هذا السؤال هى ، وبلا تردد : كلا وألف كلا .

فبينما مصر تتحسس وتتلمس تغيير أوضاعها واعادة ترتيب أمورها الداخلية تغييرا جذريا ..

وبينما مصر تموج بالنشاط فى هذا السبيل والاقتصاديون وغيرهم يعكفون على دراسة الحلول للخروج من أزمتنا الاقتصادية (وانعكاساتها الاجتماعية) العميقة ووسائل تنفيذ هذه الحلول .

وبينما تسعى مصر الى تكملة المشوار الذى توقف فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ (تاريخ وفاة جمال عبد الناصر) وتبنى اقتصادها الوطنى المستقل .

هنا يطرح سؤال .

وهو السؤال الذى يسبق كل سؤال والذي يتعين الرد عليه ما هى المشكلة التى تعتبر أساس كل المشاكل والتي يتعين حلها قبل أية مشكلة أخرى ؟

وهل يرضى لنا الاستعمار الامريكى ومن معه وفى المقدمة المؤسسة الحاكمة فى أسرائيل ان تستعيد مصر انفاسها وتبنى اقتصادها وتتقدم ؟ هل يرضى لنا هؤلاء أن تحتل مصر من جديد دورها القيادى فى حركة التحرر الوطنى فى المنطقة ؟

أن الرد على هذه الاسئلة وحل هذه المشكلات بيت القصيد **ان تكون او لا تكون** . فهل لنا من اجابة ؟

حسبنا أن نذكر والا ننسى ـ أنه ، ابان انزال القوات الامريكية فى شمال افريقيا (خلال الحرب العالمية الثانية) كتبت مجلة « آسيا » (الامريكية) فى ابريل **١٩٤٢** تقول :

« **لم يعد ممكنا ان يظل الشرق الاوسط بين ايدى انجلترا وعلينا** اى (امريكا) **ان نسرع فى وضع يدنا عليه ذلك ان من كان بيده الشرق الاوسط امكنه السيطرة على اوربا** ولحسن حظنا فمازالت الفرصة سانحة فاذا ما فقدناه (الشرق الاوسط) **فلابد من ان نضحى بحياة مئات الآلاف من الامريكيين لاستعادته** والابقاء عليه بين أيدينا بكافة الوسائل الاقتصادية والسياسية والعسكرية .

وضعت اذن الخطة الامريكية للسيطرة على الشرق الاوسط **منذ ابريل ١٩٤٢ اى قبل ست سنوات من نشأة اسرائيل** فى ١٥ مايو ١٩٤٨) .

ويدرك المرء مدى الخدمة الجليلة التى لا تقدر بثمن (ثمن « حياة مئات الآلاف من الامريكيين ») التى قدمتها المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل لامريكا منذ تولت وظيفة الشرطى وحارس المصالح الامريكية فى المنطقة .

ويدرك المرء أن حكام اسرائيل قبضوا مقابل خدمتهم هذه السماح لهم بالتوسع الاقليمى عن طريق العدوان العسكرى خارقين بصلف ابسط قواعد القانون الدولى ، **تحميهم امريكا من اى عقاب على صعيد المحافل الدولية** .

ويدرك المرء أن أهم هذه الخدمات هو السعى للقضاء على النظام المصرى القائم فى مصر منذ ١٩٥٢ كلما تأكدت ارادته وتحققت بعض الانجازات فى سبيل التحــرر الوطنى العسكرى والسياسى والاقتصادى وبرز ذلك فى مناسبتين :

ومن المفارقات التى يتعين الالتفات اليها انه **فى ذات عــــام ١٩٤٢ قررت المنظمة الصهيونية العالمية** (فى مؤتمــــرها بمدينـــــة بلتمور فى أمريكا) **تعديل خطتها الاستراتيجية بالاعتماد على الولايات المتحدة الامريكية بعد أن كانت تعتمد على انجلترا .**

١ ــ **المناسبة الأولى :** العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ وكان يهدف الى استعادة انجلترا وفرنسا لقناة السويس والقضاء على النظـــام المصرى ممثلا فى جمال عبد الناصر وزملاءه وتقبض اسرائيل ثمنا لهذا ضمها لسيناء ، ولم يتحقق الهدف .

٢ ــ **المناسبة الثانية :** العدوان الغادر فى ١٩٦٧ حيث كلفت اسرائيل بمهمة القضاء على زعامة مصر لحركة التحرر الوطنى وهدم اللبنات الاولى للتنمية الاقتصادية .

يبين لنا من هذا العرض السريع وبما لا يدع مجالا للشك **أنه لا بناء ــ ولا استمرارية فى بناء ــ للمجتمع الذى ننشده جميعـــا طالما ظلت اسرائيل فى قبضة المؤسسة الحاكمة التى تولت الســــلطة فيها منذ ١٩٤٨ (بل ومن قبلها) وقدمت خدماتها للاستعمار الاقوى (البريطانى) ثم الامريكى .**

هذا هو جوهر المشكلة وعلينا جميعا بعيدا عن أحلام الواهمين أو المغرضين ــ **وكلاهما بعيد عن الجماهير أو عدو لهـــا** ــ عن وعى ــ أن نجد حلا لهذه المشكلة .

فما لم تحل هذه المشكلة حلا جذريا واصيلا فلا أمل فى أى بناء جدى ودائم .

ولن يخرج الحل عن أحد الاطر الثلاثة :

١ ـ الحرب أو ٢ ـ لا حرب ولا سلام أو ٣ ـ السلام .

الحل الأول : الحرب :

قيل أن الحرب هى امتداد لسياسة الدول ـ ومختلف القوى الاجتماعية داخل كل منها بوسائل اخرى .

وللحرب مقوماتها الداخلية والخارجية .

المقومات الداخلية : وتقتضى أولا **بتحديد الهدف من الحرب** وان يكون البلد الذى ينوى خوضها ، **قد أعد الاسس المادية** (الاقتصادية و العسكرية) **والاسس المعنوية** (أى أن تكون الجماهير واعية ومعبأة بأهداف هذه الحرب ومستعدة لمواجهة تضحياتها) ذلك أن الحرب الحديثة يخوضها الشعب ولأن مساندة الشعب لها هى التى تقرر فى النهاية مصير الحرب .

أما عن المقومات الخارجية فتقتضى **بالقيام بدراسة وتقييم العدو فالحرب وهى ممارسة للسياسة بوسائل اخرى ، تحتم التقييم الدقيق لعلاقات القوى الاجتماعية لدى العدو والمحايد ولدى أصدقاء طرفى الحرب وبوجه عام موازين القوى فى المنطقة وفى العالم .**

الحرب اذن ليست شعارا يطلق وانما هى حصيلة دراسات عملية عميقة للاسس المادية والمعنوية لدينا ولدى عدونا أى لكافة المقومات الداخلية والخارجية التى تضمن تحقيق الهدف منها أى الانتصار فيها .

وعلينا اذا ما قررنا الاخذ بالحل العسكرى (الحرب) أن نبدأ من الآن بتحديد أهدافها والاعداد لها ماديا ومعنويا ، داخليا وخارجيا لضمان الانتصار فيها تحقيقا للهدف الذى حدد لها : القضــــاء على اسرائيل او القضاء على المؤسسة الحاكمة فيها واقامة نظــام غير عنصرى وغير عدوانى وغير توسعى .

وثمة سؤال يتعين ايجاد الاجابة عليه : هل يسمح لنا الاستعمار وهل تسمح لنا اسرائيل من أن ننفــذ خطة الحــرب بما يسبقها من استعدادات (بناء اقتصادى) حتى تمامها ؟ الاجابة على هذا السؤال هى أن مصر ستظل على كف عفريت لأنها الآن ليست فى حالة ســلام بمعنى الســلام العادل الدائم وستظل هكذا غير مستقرة مادامت المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل باقية .

ولقد صرح عزروايزمان فى يونيو ١٩٨٠ أثناء انعقاد مؤتمــر حزب « حيروت » (حزب بيجن وحزبه آنذاك) بأن :

« أى تغيير فجائى فى سياسة مصر سوف يؤدى بنا الى احتلال سيناء للمرة الرابعة والنهائية » .

الحل الثانى : لا حرب ولا ســلام :

ان نقبل بحالة « اللاحرب واللاسلام » الى ان تتوافر لدينــا مقومات الحرب أو مقومات فرض الســلام الذى نبغيه نحن لأنفسنا وللفلسطينيين وللدول العربية الأخرى .

والمنادون بهذا الحل الثانى يتفقون فى الواقع مع شيمون بيرز

الذى صرح فى اجتماع اللجنة التنفيذية لحزب العمـــل الاسرائيلى **«ان اسرائيل فى حاجة الى ما لا يقل عن خمسين عام من حالة اللاحرب واللاسلام** حتى يتم صهر يهود اسرائيل (غربيون وشرقيون) فى أمة اسرائيلية

ذلك أن التهديد المستمر باحتمال القضاء على يهود اسرائيل من جانب « العدو » أى التعبئة المستمرة للحرب كان الشعار الذى استخدمته ـــ ومازالت ـــ المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل لتحقق هدفين .

أ ـــ جمع شتات اليهود المهاجرين اليها .

٢ ـــ استثارة يهود العالم الوقوف مع اسرائيل .

والمنادون بهذا الحل انما يخدمون أيضا الانظمة العربية التى ان لم تكن اسرائيل قد وجدت لاحتاجوا الى خلقها أو خلق مثيلا لهـــا للبقاء فى الحكم وللتسلط على جماهيرهم .

ومؤدى هذا أن حالة اللاحرب واللاسلام تعين حكام اسرائيل على ذلك الانصهار . وسيظل شعب فلسطين مشتتا وسيظل التوسع الاسرائيلى مستمرا وسيظل بناءنا للمجتمع الذى ننشده غير مستقر» .

فهل ترضى الجماهير المصرية فيما يتعلق بقضاياها الحيوية الملحة أن تظل حالة عدم الاستقرار وأن يرجأ تحقيق امانيهـــا الى اجل غير مســـمى ؟

علما بأن هذا الحل **يعد استسلاما للواقع وينطوى على ذيلية لهذا الواقع .**

بينما يتعين علينا أن نسعى دائما الى تغيير الواقع اذا كان يهدد فى المدى القريب أو البعيد مصالح الجماهير .

الحل الثالث : الســلام

الثابت المقطوع به أن السلام اما أن يكون **عقدا تبادليا** متكافئا واما ان يكون **عقد اذعان** لشروط الطرف الآخر **(مثل معاهدة السلام التى أبرمت بين مصر وأسرائيل عام ١٩٧٩) .**

ويترتب على الحالة الثانية (عقد اذعان) أن الطرف الاقوى فيه قد يسعى ، فيما سعى اليه من ورائه ، الى استخدامه كوسيلة لتحييد وشل الطرف الاضعف الامر الذى يبقى طرفى هذا « السلام » فى حالة عدم استقرار وأساسا بالنسبة للطرف الاضعف فيه الـذى لا يتمتع بالسلام الحقيقى **ويظل مهددا (لذات شروط « السلام »)** باحتمال الحرب (تصريح وايزمان) .

وهذا « السلام » الاعوج المجحف بحقوق الطرف الاضعف فيه انما يخدم الجانب الآخر (المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل) حيث يفسح ـ وقد أفسح فعلا ـ أمامها السبيل الى البطش وليس أدل على هذا من اعتداءات اسرائيل بين ١٩٧٩ واليوم (والغد ؟) ضـــد الدول العربية الأخرى .

من هنـــا يمكن أن نقــرر ــ وقد ســبق أن قــرر وبشجاعة ـ أن مثل هذا السلام لا ينطوى على الاحترام المتبـادل والمتكافىء لحقوق الجميع . ويتعين رفضه .

اليس هناك من بديل آخر : ســـلام عادل مبنى على الاحترام المتبادل والمتكافىء . لحقوق الجميع ؟ **ذلك السلام الذى لا قاعدة له ولا سند سوى للشعوب** : السلام الذى ترضى عنه **الجماهير فى كل من مصر و اسرائيل** وغيرها — **السلام المبنى على الجلاء عن جميـــع الاراضى التى احتلتها اسرائيل وعلى حق شعب فلسطين فى تقـــرير مصيره فى اقامة دولته وذلك لثلاثة اسباب :**

١ — لأن السلام بمعنى السلام العادل سيتيح لشعوب المنطقة **أن تسهم معا فى كفاح مشترك ضد العدو المشترك : الاستعمار .**

٢ — **لأن** السلام بمعنى **السلام العادل** لا السلام لحساب طرف (اسرائيل) على حساب باقى الاطراف هو **الشرط الاساسى للتنميـــة والبناء للتحرر وفى المقام الاول للديموقراطية .**

٣ — لأن السلام العادل سيفقد المؤسسة الحاكمة فى اسرائيل — والرجعية العربية — قبضتها على جماهيرها .

فهناك علاقة جدلية وتبادلية بين السلام العادل وامكانية البناء والتحرر والديمقراطية حيث ستفقد النظم القائمة فى المنطقـــة بأسرها (شاملة **نظام المؤسسة** الحاكمة فى اسرائيل) فرصة التذرع بالحرب او التهديد بها لتخويف الجماهير — كل جماهير المنطقة — عن مسار نضالها من أجل مصالحها الحيوية .

ولكن **ما** السبيل **اليه ؟** ونحن نعلم ان غالبية الجماهير اليهودية فى اسرائيل مازالت تحت تأثير عميق للدعاية التى فرضتها عليهـــا المؤسسة الصهيونية **منذ** وعد بلفور ، واساسا منذ نشأة اسرائيل ،

فهل هناك أمل فى كسبها الى قضية السلام العادل ؟ كيف نعزلهـــا سياسيا وفكريا عن المؤسسة العسكرية الحاكمة فى اسرائيل ؟

هل هناك أمل فى ذلك ؟ هل هذا الطريق آت من فراغ ؟ .

منذ وعد بلفور سلك هذا الطريق ، بعض التقدميين من العرب ومن اليهود فى فلسطين حيث أدركوا أن **كفـــاحهم المشـــترك هو السبيل للخلاص من العدو المشترك** آنذاك (الاستعمار البريطانى) **ومازالوا** يسيرون حتى بعد نشأة اسرائيل على ذات الدرب .

واذا عدنا الى مصر فقد كافحت القوى التقدميـــة فى **منتصف** الاربعينات ضد استخدام الاســتعمار والرجعيـــة المصرية **لقضية** فلسطين لحرف مسار الحركة الوطنية فى مصر خاصة **بعـــد اكتسابها مضمونا اجتماعيـــا وادى موقف الحكومات العربيـــة الرجعية الى تشتيت الفلسطينيين** ــ بالاشتراك مع الصهيونية ــ وتأجيل قيـــام الدولة الفلسطينية .. كمـــا تعاونا معـــا (الرجعيـــة العربيـــة والصهيونية) على طرد يهود البلدان العربية من دارهم **وتجميعهم** فى اسرائيل .

وفى ١٩٤٨ يشير عبد الناصر فى «فلسفة الثورة» الى **المناقشات** التى دارت **بينه وبين** ضابط اسرائيـــــلى وكان **همه الاول** ان يجيب الضابط على **اهتمامه الأول : كيف تخلصتم** (أى اليهود فى فلسطين) **من الانجليز ؟ والعجيب ان السؤال لم يكن كيف نطردكم أنتم من اسرائيل ؟!** .

وفى ١٩٥٥ جرت اتصالات غير مباشرة بين مصر واسرائيـــل ورئيس وزاراتها حينذاك موسى شاريت فخافت المؤســسة الصهيونية

من أن تنتهي الاتصالات الى اتفاق فقام بن جوريون بغارة ـــ غزة (فيما أعتقد) **التى أدت بعبد الناصر الى عقد صفقة الاسلحة مع تشيكوسلوفاكيا** .

وللاحساس العميق لدى عبد الناصر **بضرورة السلام للابناء وافق على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ثم وافق فى ١٩٧٠** علي مقابلة نحوم جولدمان رئيس المؤتمر الصهيوني العالمي بينما اعترضت على اجراء هذه المقابلة جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل آنذاك ولم تتم .

وفى خطابه فى **أول مايو ١٩٧٠** بمناسبة **عيد العمال** طرح فيه عبد الناصر على الجماهير العمالية صورة واضحة للقوى المعادية والقوى الصديقة قال :

((ان هناك أصواتا كثيرة حتى فى اسرائيل نفسها بدات تحذر ضد الطريق الوعر والخطر الذى تنزلق فيه الجماعة العسكرية الحاكمة فى اسرائيل والتى تريد ان تجر اليها معها الشرق الاوسط كله وربما الى ما هو اكبر من الشرق الاوسط)) .

وقد شارك مجلس السلام المصرى فى المؤتمرات التى جمعت بين ممثلين من العرب والاسرائيليين وغيرهم ممن اتحدوا على اقرار **سلام عادل** فى المنطقة **سلام مبنى على الجلاء عن الاراضى التى احتلتها اسرائيل فى عدون ١٩٦٧ والاقرار بالحقوق الوطنية لشعب فلسطين فى اقامة دولتهم كشرطين اساسيين لذلك السلام** .

وقد سلكت منظمة التحرير الفلسطينية ذات المسلك وأعلن ياسر عرفات باسمها وباسم المجلس الوطني الفلسطيني . في العديد من خطبه وأبرزها خطابه في هيئة الامم المتحدة وكذلك تصريحاته ومنها تصريحه في جريدة نمساوية ١٩٨٤ من : « **ان المجلس الوطنى الفلسطيني كان قد نادى باقامة دولة فلسطينية علمانية ديموقراطية تضم اليهود والمسلمين والمسيحيين على قدم المساواة ولما لكن هذا النداء لم يجد صدى فانه يعلن انه على استعداد لقبول اقامة دولة فلسطينية في اية بقعة من ارض فلسطين تنسحب منها اسرائيل** » نشر بجريدة **الموند الفرنسية** في ٢٧/٣/٨٠)

ثم ذلك الحديث الذى نشر في جريدة الشرق الاوسط (١٩/١/١٩٨٢ حيث قال :

« س : ليس لديكم مانع اذن بأى شخص مستعد للاجتماع بكم ؟
ج : أعتقد أنه من المهم أن تعلمي **أن المجلس الوطنى الفلسطيني اتخذ قرارا بفتح حوار مع القوى الديموقراطية التقدمية وقد كرر المجلس الوطني الفلسطيني في أربع اجتماعات مختلفة** عام ٧٤ و ٧٧ و ٧٩ و ١٩٨٠ استعدادنا للاجتماع مع آخرين » .

وأخيرا وليس آخرا ونتيجة للديناميكية الذاتية لعملية اقامة سلام عادل بين الطرفين المعنيين به في المقام الاول : فلسطين واسرائيل . أدلى ياسر عرفات بحديث الى مجلة الشئون الفلسطينية أكد فيه :

أن الفلسطينيين « يسعون بكل اخلاص الى تضييق دائرة المتطرفين الاسرائيليين والى تحرر أفكار فئات تزداد اتساعا .

من الاسرائيليين » وأضاف يقول « ان الاسرائيليين بشر مثلنا نحن . في استطاعتهم أن يؤثروا وأن يتأثروا . ومن الطبيعي انه ينعكس على أسلوبهم في التفكير مضى سبعة عشر عاما من النضال المتواصل هو عمر ثورتنا » .

ثم اضاف يقول من الافيد **اقامة علاقات بدلا من الحديث عن العلاقات لأن هذا يثير المتطرفين** في المعسكر بين صفوفنا **وفي اسرائيل** (ترجم عن مقال في جريدة الموند في ١٩٨٢/١/٢٧) .

وليس السؤال كيف ولماذا يقبل وطنيان من طراز عبد الناصر وعرفات السلام (لا الاستسلام لشروط بيجن) مع اسرائيل الا لانهما مدركان بعمق واخلاص أحاسيس ومطالب شعوبهما من أجل اقامة مجتمع بعيد عن الخوف . مجتمع متقدم يعيش فيه الانسان حياة انسانية بكل معاني الانسانية .

ولقد كان لمواقفهما الوطنية حقا والبناء حقا ، أن ساعد على تمزيق المجتمع الاسرائلي وزادت من مخاوف المؤسسة الحاكمة في اسرائيل من أن يأتي اليوم الذي تذوب فيه دولتهم في المنطقة نتيجة للسلام اذا كان عادلا ، متكافئا .

وقد احتذى ، عبد الناصر وعرفات ، في ذلك بسوابق تاريخية قاتلت ـ خلالها الجماهير الشعبية وبلا هوادة ضد عدوان المستعمر المغتصب وناضلت بلا هوادة أيضا من أجل كسب الجماهير الشعبية وفي مقدمتها الجنود لدى الدولة المستعمرة المغتصبة وظفروا بالنصر في هذه المعركة المزدوجة الاسلوب (**السلاح مع الحوار**) .

هذا هو الاسلوب الذى عبر عنه ياسر عرفات فى أول خطاب له أمام الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة حين قال « أن الفلسطينيين يتقدمون للعالم ممسكين بالبندقية فى يد وبغصن الزيتون فى اليد الأخرى » .

ومن أبرز السوابق التاريخية والتى اثبتت نجاح هذا الاسلوب — المتفق مع أسس حرب التحرير التى تخوضها :

١ — حرب تحرير الجزائر حيث قاتل الشعب الجزائرى — شعب المليون شهيد — ضد الاستعمار بينما كانت تدور حملة لا تقل قوة ونشاطا وايمانا — لكسب جماهير الشعب الفرنسى وانتهى الامر باستقلال الجزائر فى ١٩٦٤ وبالتعاون مع القوى الديموقراطية فى فرنسا ذاتها .

٢ — حرب تحرير فيتنام التى دامت قرابة الخمسين عام كافح فيها شعب فيتنام المتخلف الاستعمار الفرنسى ثم الاستعمار الامريكى وإنتصر عليهما تباعا بعد اتباعه ذات السياسة : محاربة الاستعمار فى أبشع صوره العسكرية مع النضال فى آن واحد من أجل كسب جماهير شعب فرنسا ثم أمريكا الى قضيته العادلة .

وقد نجح هذا الاسلوب الى جانب تحقيقه انتصارات عسكرية ، نجح ايضا فى كسب اوسع الجماهير فى كل من البلدين (بالاضافة الى الراى العام العالمى) فضغطت بدورها على حكوماتها وأرغمتها على عقد الصلح مع فيتنام .

لا يعنى هذا الحل الثالث بأى حال من الاحوال الاستسلام

للمؤسسة العسكرية الحاكمة فى اسرائيل . بل على العكس انه يستلزم حتما شن الحرب عليها بكل الوسائل — كمايفعل الفلسطينيون الذين مازالوا — وسيستمرون حتى النصر — يواصلون مقاومتهم العسكرية الاسرائيلية وهم فى ذات الوقت يعرضون السلام على الجماهير الشعبية فى اسرائيل تلك الجماهير التى هللت وفرحت مثلما فرحت وهللت جماهير مصر لذلك « السلام » المضلل الذى فرضه الاستعمار على مصر — مؤيدا فيه شروط بيجن — دون أن تدرك (الجماهير فى كلا البلدين) مفاسد ذلك « السلام » .

لقد كان هذا السلام **اذعانا للسيد/المشترك** — أمريكا واتفاقا من جانب اليمين فى البلدين مغزاة ومؤداة أن يكون — وهو فعلا — مجافيا لأمانى شعبيهما التواقة الى السلام العادل من أجل البناء والاستقرار .

هذا هو الحل الثالث الذى لم يستبعده لا عبد الناصر ولا منظمة تحرير فلسطين وله سوابقه الايجابية .

فهل يتفق هذا الحل وأمانى جماهيرنا التى لا تسعد — ولن تسعد — من ذلك « السلام » المضلل لا بالسلام ولا بالرخاء الذى لوح لهما ؟

ان الموقف من أى حل من الحلول الثلاثة التى استعرضناها مرتبط بالظروف الموضوعية والذاتية لمصر ، دولة وشعبا ، وهذه الظروف

المتغيرة دوما تستوجب تغيير الموقف أيضا دون التشبث بحل واستبعاد الحلول الاخرى .

وبعد فان اتخاذ الموقف رهن أساسا بموقف الجماهير ومدى تقبلها أو رفضها لأى حل من هذه الحلول . والجماهير المصرية بحسها السياسى المرهف والصادق هى صاحبة القرار . ذلك أنها لم تخطىء أبدا .

الجـــزء الثـــالث

عود الى الجـــذور الطبقية
للصراع العـــربى ـــ الاسرائيـــلى

مقـــــدمة

لابد ان تطرح امامنا قضية القضايا فى عصرنا هذا : قضية السلام العالمى ونزع السلاح النووى . ذلك ان الانســـانية جمعاء نواجه اليوم الخيار بين : الوجود والفناء .

من هنا الاهمية القصوى لحل المنازعات الاقليمية (العربى ـــ الاسرائيلى ، العراقى ـــ الايرانى وغيرها) وهى البؤرة التى قد تندلع منها شرارة الحرب العالمية النووية .

طبيعة ومضمون الصراع العربى الاسرائيلى

نرى أن الصراع العربى ـــ الاسرائيلى فى جوهـــره صراع طبقى وأن كان لعوامل أخرى دورا فى هذا الصراع : القوميـــــة ،

الحضارة ، التاريخ ، الجغرافيا ، الدين ، الخ ...

ومما يزيد من تعقد هذا الصراع الطبقى انه يدور على أربعة مستويات متراكبة من الصراع الطبقى .

أ ــ الصراع بين الاستعمار والاشتراكية .

ب ــ الصراع بين الاستعمار وحركة التحرر الوطنى .

جـ ــ الصراع بين الدول العربية ذات الانظمة الاجتماعية الاقتصادية المتباينه التطور وبينها وبين اسرائيل .

د ــ الصراع الطبقى داخل كل من دول المنطقة بما فيها اسرائيل .

ونرى أن عرض مظاهر هذه الصراعات قد يفيد فى الاجابة على العديد من الاسئلة التى يطرحها البحث عن أطراف ومستقبل الصراع العربى ــ الاسرائيلى .

ــ الصراع بين الاشتراكية والاستعمار :

منذ ثورة أكتوبر ١٩١٧ انقسم العالم الى معسكرين : **المعسكر الاشتراكى** (يضم اليوم جميع الدول التى تبنى مجتمعا اشتراكيا وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى) **والمعسكر الاستعمارى** ويضم الدول الرأسمالية (وعلى رأسها أمريكا) وأخذ كل من المعسكرين بشكل قطبا عالميا ينهج حيال قضايا العالم نهجا مغايرا ومتناقضا تماما .

فالمعسكر الاشتراكى يسعى الى السلام العالمى والى مساندة الشعوب فى نضالها من أجل التحرر والتقدم الاقتصادى

والاجتماعي . اما المعسكر الاستعماري فانما يسعى **أول** ما يسعى الى القضاء على المعسكر الاشتراكي ويسعى **ثانية** الى تاييد قبضته وسطوته على مقدرات الشعوب وخاصة شعوب العالم الثالث .

وما من شك أن ميزان القوى بين المعسكرين وحسمه سوف يقرر فى **الاساس** (الى جانب نضال الشعوب) **مصير العالم ومصير السلام** .

ومن هنا أهمية تتبع ما يجرى على الصعيد العالمى بين وفى ظل المعسكرين . والثابت حتى الآن أنه من حيث الميزان العسكرى بينهما فهناك نوعا من التكافؤ . ولكن هذا لا يكفى بل لابد من أن يحسم لصالح المجتمع الاشتراكى ميزان القوى الاقتصادية وهو فيما نعتقد ، فى طريقه .

ب ــ الصراع بين الاستعمار وحركة التحرر الوطنى :

اتخذ الاستعمار أشكالا متعددة : الاستعمار القديم : صورته : **الاحتلال العسكرى** . وقد أدى التصارع بين المستعمرين على الاراضى المحتلة وموازين القوى بين مختلف المستعمرين ان قسم العالم المحتل لا وفقا لحدود طبيعية وانما خدمة لأهداف بعيدة المدى وأهمها بذر بذور التصارع بين الدول التى ترزح تحت نير الاستعمار لاسباب عرقية ، دينية .. الخ . وفى منطقتنا مثلا عمد الاستعمار البريطانى **الى اصدار وعد بلفور** فى نوفمبر ١٩١٧ الذى يعتبر شهادة ميلاد دولة اسرائيل .

كما قسم بلاد الشام الى اربعة دول : سوريا ، لبنان ، الاردن ، وفلسطين . **أما الاستعمار الجديد** فهو اخطر من

الاستعمار القديم لأنه قد لا يلجأ الى الاحتلال **المباشر وانما اسلوبه السيطرة عن طريق التغلغل الاقتصادى** والتحكم فى مقدرات الشعوب بهدف السيطرة على ثرواتها الطبيعية (البترول مثلا) . واليوم نرى أن غالبية دول المنطقة **تابعة** للاستعمار الجديد بقيادة أمريكا ، التى استطاعت أن تخضع لنفوذها غالبية حكومات المنطقة . مما يعرقل نضال الشعوب من أجل التحرر .

هـ ـ الصراع بين الدول العربية ذات الانظمة الاجتماعية الاقتصادية المتفاوتة المستوى من ناحية وبينها وبين اسرائيل :

أدى تقسيم المنطقة الى دول على اسس لا تتفق وتاريخ شعوب المنطقة ان نشأت فى كل من هذه الدول طبقات أخذت تنمو بما يتفق ومصالحها الانانية (البعيدة عن مصالح الشعب) ولا ترغب فى أن تقاسم هذه المصالح مع الطبقات المقابلة لها فى الدول الأخرى مع الاخذ فى الاعتبار عدم التكافؤ فى نمو كل منها (ليس أدل على هذا من فشل الوحدة بين مصر وسوريا) ،

أما التناقض بين هذه الدول العربية واسرائيل فانه نابع أيضا ـ **الى جانب الاسباب التاريخية والقومية والدينية** من احساس الطبقات الحاكمة فى الدول العربية (دول المواجهة على الاقل) بالخوف من قوة الطبقات الحاكمة فى اسرائيل ذات الارتباط (العضوى) بالمصالح الاستعمارية العاتية .

ونرى أن اتفاقية كامب ديفيد ومعاهدة الصلح بين مصر واسرائيل قد أبرمتا لاجل الطبقات الحاكمة فى مصر ـ بعد تبعيتها لامريكا ـ فى أن تحظى بما تحظى به اسرائيل من مساعدات أمريكية . ويقابل « تصالح » الطبقات الحاكمة فى كل من مصر

واسرائيل تصالح بين الشعوب .

د ــ الصراع الطبقى داخل كل من دول الصراع العربى ــ الاسرائيلى :

ويتخذ هذا الصراع اشكالا متباينة وفقا لتباين النمــــو الاجتماعى ــ الاقتصادى فى كل بلد .

ويتميز هذا الصراع فى وقتنا هذا بالقبضة القوية للطبقات الحاكمة .

ويتميز أساسا بانعدام الديموقراطية أو بصورة ديموقراطية محجمة أو بما يسمى بديموقراطية ذات أنياب (أو عضلات) الامر الذى يعرقل تحرك الجماهير .

ويتميز أيضا بانحدار خطير لظروف معيشة الجماهير .
أما فيما يتعلق بالفلسطينيين فالصراع يتسم بالتعقيد الناجم عن الشتات

فهناك فلسطينيو اسرائيل
وهناك فلسطينيو الاراضى المحتلة
وهناك فلسطينيو معسكرات اللاجئين فى اسرائيل ، فى الضفة ، فى الازدن فى سوريا ولبنان .

وهناك فلسطينو الخليج وأمريكا واستراليا .....
واذا كانت قضية التحــرر الوطنى هى الرابط بين هــؤلاء الا أن نظرتهم الى هذا التحرر قد تختلف وفقـــا لظـروف كل من هؤلاء (وهذا يفسر لنا مثلا الاتفاق الاردنى ــ الفلســطينى الذى تدعمه الطبقات الغنية فى الضفة والاردن حيث بالنسبة اليهـــا

مادامت مصالحهم باقية فلا حرج من ان يعيشوا فى ظل الاردن) .

ـ اليوم فى المنطقة تنحصر المقــاومة المسلحة فى الضفة وغزة واسرائيل وايضا فى لبنان .

ـ واذا كانت منظمة التحرر الفلسطينية هى الممثل الشرعى الوحيد لشعب فلسطين .

وكادت المنظمــة تجمــع على مواصــلة **الكفــاح المسلح** مع مواصلة **الكفاح السياسى بما فى ذلك محاورة الإسرائيليين الذين يعلنون موافقتهم على اقامة دولة فلسطينية ولو صرحوا بصهيونيتهم فنرى ان نساندهم فى كفاحهم المزدوج** (المسلح والسياسى)

ـ ولن تستطيع شعوب المنطقة وخاصة الشعوب العربيــة المشاركة فى حل النزاع العـــربى ـ الاسرائيلى الا من خــلال نضالها فى كل من بلدانهــا لتحصل هى على حقوقها المهضومة او التضامن الفعلى مع منظمة التحرير الفلسطينية .

ـ ان اسرائيل (ومن قبلها الحركة الصهيونية) اعتمــدت دائما على أقوى المستعمرين لتحقيق أهدافها واليوم لم يبق لهـــا سوى الاستعمار الامريكى فكلما ضعف بفضل كفاح شعوب المنطقة كلما ضعفت دعائم اسرائيل. هذا مع الوضع فى الاعتبار الاول موازين القوى على الصعيد العالمى التى تلعب وسوف تلعب دورا حاسما الى جانب نضال الشعوب .

ولخيرا ليس آخـــرا ...

فى ١٩٧٩ ، وأثر التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد ومعـــاهدة « الصلح » المصرية ــ الاسرائيلية ، علمت أن ايجال يادين ، نائب رئيس وزراء اسرائيل آنذاك ، كان ، بمناسبة وجوده بالقـــاهرة ، سيؤدى صلاة مساء الجمعة فى المعبد اليهودى بشارع عدلى وصممت على أن أصارحه بشعورى كمصرى فى معاهدة « الصلح » ســـالفة الذكر ، ودخلت المعبد (بعد تفتيش دقيق ، غير رقيق) وتقـــدمت مباشرة الى ايجال يادين وقلت له : « اننى كمصرى ارى أن المعاهدة مهينة بكرامة شعب مصر » .. وسرعان ما التف ن حولى رجال الامن من اسرائيليين ومصريين وحالوا بينى وبين مواصلة التفوه باحتجاجى وتابعنى خارج المعبد رجال مباحثنا .

وكانت العاقبة ... (وبئس العاقبة)

انه ، فى فجر ١٦ من اغسطس ١٩٧٩ ، اقتحم زوار الفجـــر منزلى ، بصحبة أحد وكلاء نيابة أمن الدولة وكنت غائبا عن المنزل . وفاجأوا ابنتى « ماجدة » التى كانت ترتدى ملابس النوم ورفض وكيل

النيابة الموقر ابراز امر التفتيش ، وقطع سلك التليفون كما رفض أن تقوم ابنتى بارتداء ما يستر جسدها ، وفتش بلا رحمة منزلى وبعثر محتوياته وجمع تسع صناديق من الكتب والمطبوعات وغيرها ... دون تحرير محضر لتوقع عليه ابنتى .

وما أن علمت بما حدث قررت أن أظل مختفيا وظللت هكذا لمدة تزيد عن ثلاثة أشهر يحمينى أبناء شعب مصر الابى ، الشجاع الى أن قررت تسليم نفسى ...

ومضت بضعة أشهر على هذه الواقعة المعروفة باسم القضية رقم ٧٩/٦٣٢ أمن دولة عليا (الجناية ٨٠/٢٦٦٨ عابدين) وصدر قرار الاتهام وكنت من بين المتهمين التسع الاول التى طلبت النيابة الحكم عليهم بالاشغال الشاقة المؤبدة . ؟؟؟

ولكن فى مصر قضاة ، حصن الشعب المنيع .. واذا بمحكمة امن الدولة العليا تحكم لى ولغيرى بالبراءة فى مايو ١٩٨٦ .

وانتهى هذا الفاصل من حياتى ولم يجد بعد جديد . وأرجو الا يعقب صدور هذا الكتيب اجراء ما ...

رقم الايداع ٨٨/٢٧٣٢

دار اســـوان للطبـــاعة

هـذا الكتـاب :

أن يولد المرء مصرياً يهودياً فهذا قدره وأن يعيش منذ مقتبل عمره فى ظروف الصراع العربى ــ الإسرائيلى فقد يدعو هذا القدر وهذه الظروف إلى أن يغلب أحد مكونيه على الآخر أو يقبل العيش بهما معاً .

بينما لو أضاف إلى قدره الموروث والظروف المفروضة ، نظرة واعية بالقوانين الموضوعية التى تحكم المجتمع البشرى ، فإنه يدرك عندئذ أنه إنسان ، وإنسان حيثما وجد وهذه النظرة هى التى أوحت دستور هذا الكُتيّبْ .

الثمن : ١٥٠ قرش محلى
٢٥٠ قرش تصدير